تأثير اللغة العربية في اللغة الماليالمية:
دراسة للغة 'عربي– مليالم' في ملبار

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

حميد. اي. ام.

تحت إشراف

الدكتور رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والأفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو

نيو دلهي – ٦٧

٢٠٠٥

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

DECLARATION

25, July, 2005.

I declare that the dissertation entitled **IMPACT OF ARABIC LANGUAGE ON MALAYALAM: A CASE STUDY OF 'ARABIC-MALAYALAM' OF MALABAR** Submitted by me is in the partial fulfilment of the requirements of the award of the degree of **MASTER OF PHILOSOPHY** of this University. This dissertation has not been submitted for any other degree of this University or of any other Universities and is my own work.

25/07/05

HAMEED. A.M.
(Research Scholar)

Prof. S.A.Rahman
(Chairperson)

26/7/2005

Dr.Rizwanur Rahman
(Supervisor)

Gram : JAYENU Tel.: 2670 4253 TELEX : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-2671 7525

المحتويات

مقدمة	١ـ ٨
الباب الأول: اللغة العربية ونموها بين اللغات السامية	٨ـ ٣٩
ـ نشأة اللغة العربية	١١
ـ بداية خط العربي	١٩
ـ اللغة العربية في العصر الحديث	٢٥
ـ اللغة العربية في كيرالا	٣١
ـ المعاهد القديمة للغة العربية	٣٦
الباب الثاني: المسلمون في كيرالا	٤٠ـ ٦٩
ـ الظروف الإجتماعية في كيرالا	٤٢
ـ علاقة العرب مع كيرالا	٥٠
ـ الإسلام في كيرالا	٥٣
ـ مقاومة 'مابلا' ضد البرتغاليين	٦١
ـ تاريخ تطور لغة 'عربي- مليالم'	٦٦
الباب الثالث: تأثير اللغة العربية في اللغة المليالمية	٧٠ـ ٩٦
ـ لغة 'مليالم'	٧٠
ـ الأساليب والأمثال السائرة	٧٢
ـ نشر وترقية لغة 'عربي- مليالم'	٧٧
ـ تشكيل خط اللغة 'عربي- مليالم'	٨٠
ـ أدب 'عربي- مليالم' : الشعر والنثر	٨١
الخاتمة	٩٨ـ ١٠٠
المراجع والمصادر	١٠١ـ١٠٧

كلمة الشكر

الحمد لله الذي وفقني لهذا البحث حول عنوان " تأثير اللغة العربية في اللغة المليالمية: دراسة للغة 'عربي- مليالم' في ملبار". وقد بذلت جهدي في اعداد هذا البحث الذي يستكشف أثر اللغة العربية في لغة 'مليالم'. وقد سعيتُ حسب قدري في إلقاء ضوء على العلاقة الجيدة الراسخة التي تمتعت بها العرب بكيرالا منذ الزمان القديم. ولا ادّعى تخلص هذا البحث من التقصير والإعوجاج، بل إني متأكد بأن هذا الموضوع المتواضع سيقود إلى بحوث غير واحدة.

بعد أن أفوّض الحمد والشكر إلى الله تعالى لعونه ونصره في استعداد هذا العمل أقدّم جزيل الشكر والإمتنان من أعماق قلبي إلى مشرفي الدكتور رضوان الرحمن الذي أرشدني على كل خطوة إلى أماكن السداد وقضى وسعه في مساعدتي رغم شغله الكثير خلال اعداد البحث. فادعو الله له الخير والبركة في حياته.

ولا بد لي أن أقوم بالكشر إلى الأستاذ إحسان الرحمن والأستاذ فيضان الله الفاروقي والأستاذ محمد أسلم الإصلاحي والدكتور بشير أحمد جمالي والدكتور مجيب الرحمن شرّفوني في علمي ومعرفتي. وأجتهز فرصتي هذا على تقديم الشكر والإمتنان إلى موظفي مكتبة جامعة جواهرلار نهرو، نيودلهي وموظفي مكتبة جامعة كالكوت، كيرالا لما زوّدوني بالمصادر والمراجع. وأتذكّر المرحوم كي. كي. محمد عبد الكريم هوالذي أعطاني التفاؤل لبحث عن هذا الموضوع وأدعوالله لمغفرته ومرحمته وأن يجزيه من ثواب الآخرة.

وأدعو الله أن يجزي بثوابه في الدنيا والآخرة لأساتذتي في كلية العربية دار العلوم، سلطان بتيري، ويناد، كيرالا حيث بدأتُ منها دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية والتمرن فيها. ومن واجبي أن أقدم الشكر من أعماق قلبي إلى جميع الأساتذة من قسم اللغة العربية في ' كلية دبليو. أم. أو. للعلوم والفنون'، موتل، ويناد لما شجّعوني في مختلف مراحل حياتي في تعلم العربية ودراستها. وأدعوالله لإطالة أعمارهم مع الصحة والعافية كي يخدم اللغة العربية وآدابها طوال حياتهم. وأعرب عن شكري وتقديري لـ ' دارالأيتام المسلمين بويناد'، موتل، ويناد التي تولاني في دراستي بالعناية والرّعاية. ومن واجبي توجيه تحية الشكر والامتنان إلى أبي الكريم وأمي الشفيقة وسائر أعضاء أسرتي لإسنادهم الخالصة في إتمام هذا العمل المتواضع.

وأخيرا ، أقدم شكري وامتناني إلى كافة زملائي الذين ساعدوني بقدر وسعهم واستطاعتهم لإعداد هذا البحث داعياً إلى الله تبارك وتعالى لكل واحد منهم التوفيق لما يحبه ويرضاه ويجمعنا في دارالأبرار. حسبنا الله ونعم الوكيل.

حميد. اي. ام.

مقدمة

تقع ولاية كيرالا في جنوب الهند وهذه البقعة كانت معروفة عند العرب باسم ملبارمنذ الزمن القديم. لأنه كان لهم علاقة تجارية بهذه المنطقة الساحلية عبر الزمان. ويختلف المؤرخون والعلماء اللغويين في الإسم الأول لكيرالا وقد عرفت أسماء مختلفة مثل ملبار وملناد وماليالم وكيرالا وغيرها في العصور المختلفة. وسكان كيرالا كانوا يعيشون في السلام رغم اختلاف أجناسهم وأديانهم كما تباينت عاداتهم وتقاليدهم. والجمهور من سكان هذا البلد هم الهندوس ثم المسلمون فالمسيحيون واليهوديون والجينيون والبوذيون. فأصحاب جميع هذه الديانات المختلفة كانوا يعيشون مع الود والإخاء فتسامحوا تقاليدهم الدينية وغيرها من عاداتهم اليومية المختلفة. فبنوا مساكنهم ومعابدهم متجاورة ومتقاربة وان كانت ثقافتهم متنوعة ومتباينة.

ولما دخلت الأديان الخارجية المختلفة إلى سواحل ملبار اعتنق الناس الديانات المختلفة فاختلفت عقائدهم وتفرعت عاداتهم. وقد تولدت لغتهم 'ماليالم' من لغات مختلفة مثل تامل وتلغو وكرناتكا. وقد كانت لغة 'ماليالم' صعبة جدا في بدايتها، حيث لا يقدر كتابتها وقرائتها إلا للطبقة العليا والمثقفة لأن الحصول على العلم ممنوعة للطبقة السفلى في ذالك العصر. وهذه اللغة متشابهة باللغة السانسكريتية يستخدمها علماء الهندوس لحوائجهم الدينية والسياسية. والمسلمون في سواحل كيرالا كانوا

يستعملونها كلغة عامة أو لغة شعب لحوائجهم الدينية والدنيوية كما كانوا يكتبون بها العلوم الدينية والإجتماعية ولكن المسلمين كانوا يكتبون هذه اللغة باستعمال الخط العربي. لأنهم كانوا يعرفون اللغة العربية ويستعملونها لتلاوة القرآن ودراسة العلوم الدينية. وقد سببت هذا الإستعمال المزدوج إلى نشأة لغة جديدة المعروفة باسم 'عربي- مليالم'.

وأول من استوطن هذه المنطقة الساحلية هم الدرافديون ثم الأجناس الأخرى من النصارى واليهودي والمسلمين الذين جائوا من البلاد الخارجية بواسطة البحر العربي للتجارة. ويرجع تاريخ العلاقة التجارية بين كيرالا وبلاد العرب إلى عهد النبي سليمان عليه السلام . إذ كان يجلبه العاج والقرد والصندل والطاؤوس وميناء 'أوفير' كما ذكرت في التوراة. وإن أوفير هي ميناء 'بيفور'(Beypoor) القريبة من كالكوت كما اتفق عليه المؤرخ الهندي دكتور تارا تشاند. وبعد سليمان عليه السلام استمرت هذه التجارة بأيد الفينيقين واليونان والصابئين والمصريين. وأخيرا وصلت التجارة البحرية إلى أيد العرب. والمزروعات والمنتوجات التي كانت موجودة في سواحل ملبار هي التي جلبت هؤلاء التجار مثل اليونان والروم إلى هذه المنطقة. وكانت تلك الأرض تختص ببعض النتائح والمحصولات كما انحصرت بعض الحيوانات الجميلة فيها مثل الفلفل الأسود والهال و طاؤوس وكركدن وغيرها. استعمل أهل الروم والعرب وبابل خشب الساج الذي حصلوا عليها من أرض الهند لبناء معابدهم وقصورهم ومساكنهم.

والفلفل الأسود مذكور في كتاب الطب لإبوقراط (Hippocrates) وغيره من كتب الطب وكان معروفا عند العرب. ولذا استعمل الشعراء الجاهلية هذا اللفظ في أبياتهم مثل امرؤ القيس والعنترة العبسي.

"ترى بعر الآرام في عرصاتها * وقيعانها كأنها حب فلفل".

العرب كانوا يصدرون محصولات كيرالا إلى بلاد فارس والروم وغيرها من الدول الأجنبية وانهم كانوا يستخدمون نقود الفرس والروم، وتم استعمال هذه النقود في عصر ملوك جيرا القديمة. وهذه الأمور المذكورة أعلاه كلها دليل واضح على قدم تجارة العرب مع المنطقة الساحلية في جنوب الهند.

ولما برز قمر الإسلام على الأفق الروحي لجزيرة العرب انتشرت أشعته في أنحاء ملبار في عصر النبي صل الله عليه وسلم بنفسه بواسطة هذه العلاقة التجارية. اعتنق من أهالي كيرالا الدين الإسلام وخاصة الأشخاص من الطبقة السفلى بما أن الأحوال الإجتماعية كانت مناسبة لانتشار الإسلام فذاع صيت التوحيد في هذه البلاد ونال اعجابا وقبولا في المجتمع.

هكذا انتشر الإسلام في جنوب الهند كما انتشرت اللغة العربية هناك وبدأ الناس تلاوة القرآن والأوراد وداوموا عليها في حياتهم اليومية. وإنهم كانوا يدرسون اللغة العربية في ' كُتاب ' – خيوم مجاورة بالمساجد- و يستفيدون منها لتلاوة القرآن ودراسة أحكام الشريعة. ثم ارتقت هذه

'الكُتاب' إلى المدرسة وأصبحت مراكز التعليم والتدريب الدينية في أسلوب معاصر. وازدادت عدد المدارس فيما بعد وانتشرت في أنحاء كيرالا تحت اشراف الجمعيات الاسلامية مثل جمعية العلماء لعموم كيرالا وندوة المجاهدين لكيرالا والجماعة الإسلامية للهند وغيرها. ويبلغ عددها حاليا نحو عشرة ألاف من المدرسة ومعظمها تجري تحت اشراف جمعية العلماء لعموم كيرالا. وهذه المدارس تقدم دراسة اللغة العربية وقصص الأنبياء والأمم السالفة كما تقدم قواعد قراءة القرآن وغيرها من العلوم الإسلامية. ولها منهج التعليم الخاصة كما يوجد في الكليات الحكومة وغير الكحومة والجامعات. وخلاصة القول أن أهالي هذه المنطقة كانوا يهتمون بالدراسات الإسلامية والعربية منذ زمن قديم.

حصل ملوك كيرالا على أرباح كثيرة من تجارتهم مع البلدان العربية. والعرب زوجوا من نساء كيرالا. فتولدت بها جيل جديد في ملبار باسم 'مابلا'(Mappila). و هذه العلاقة كانت قوية بين العرب وملك سامري لأنه كان يحصل على الضريبة من التجار الأجنبيين. وفي هذه الأحوال الإجتماعية تسربت ثقافة عربية إلى حياة أهل كيرالا. وذلك أدى إلى اختلاط الكلمات العربية مع الملبارية واستعملوها في حياتهم اليومية. ولها تأثير عظيم في ثقافتهم.

ولو أن التقاليد الدينية تختلف فيما بين الكيراليين وهم يتكلمون اللغة الماليالمية. والمسلمون كانوا يكتبون اللغة الماليالمية بالخط العربي وعرفت

فيما بعد بلغة 'عربي- مليالم'. وانهم كتبوا فيها عن العلوم الدينية والشؤون الإجتماعية. وكتبوا أفكارهم وشعورهم حتى تولد أدب 'عربي- مليالم' من نوعيه الشعر والنثر. وقد ألف كثير من الشعراء والكتاب المسلمون كتبا عديدة في الشعر والنثر في هذه اللغة الممتزجة بالكلمات العربية والملبارية. وفيها قصائد جميلة وأناشيد رائعة في الحب والغرام والرثاء والحوادث الحربية والوقائع التاريخية والإسلامية وغيرها من حوادث الزمان.

وقد تطورت لغة 'عربي- مليالم' بامتزاج المفردات من اللغة العربية والملبارية والتاملية والفارسية وغيرها من اللغات المحلية في جنوب الهند. و ينعكس تأثير العلاقة التجارية بين العرب وكيرالا على لغة مسلمي كيرالا التي سببت إلى نشأة لغة جديدة باسم لغة 'عربي- مليالم'. تفضّل دعاة المسلمون لغة 'عربي- مليالم' على اللغة الماليالمية للمراسلات والمواصلات فيما بينهم. وعندما كانت لغة 'مليالم' في مرحلة التطور أصبحت لغة 'عربي- مليالم' لغتهم المحبوبة. ونالت اعجابا وقبولا بين الملباريين والمسلمين خاصة.

ينقسم أدب 'عربي- مليالم' إلى فرعين وهما النثر والشعر. ويعرف الشعر باسم 'مابلا باد'(Mappilappattu) أي شعر المسلمين. وهي تشتمل على المدح والرثاء والحماسة والأسطورة والترنيم والترتيل والتاريخ.

والنثر يشتمل على ترجمات القرآن والسيرة النبوية وغيرها من العلوم الاسلامية والعقائد الاجتماعية.

إن للغة 'عربي- مليالم' مساهمات قيمة في ثقافة المسلمين كما كان لها دور مهم في مجال تربية ذلك الجيل. وهي كانت همزة الوصل بين العرب وأهل ملبار ووسيلة الإتصال بين كلا الفريقين في ذلك العهد. ولكن بتوسع مجال العلم ضاعت أهمية هذه اللغة عبر الزمان. وهذه محاولة متواضعة لإلقاء الضوء على مساهمة هذه اللغة وتأثيرها في المجتمع. وقد وجدنا أن هذه اللغة قد ساعدت مجتمع كيرالا في بناء علاقات وثيقة مع العرب وثقافتهم كما جائت بفرع جديد من الأدب ملحقا للأدب العربي والملباري.

هذه الدراسة تحتوي على ثلاثة أبواب باستثناء المقدمة والخاتمة، فالباب الأول يوضح عن اللغة العربية وولاية كيرالا في خلفية تاريخية بما فيها نشأة اللغة العربية وظهورها في سواحل ملبار. وتشير على المعاهد اللغة العربية القديمة في ملبار وينتهي هذا الباب بذكر مراحل مختلفة في الدراسات اللغة العربية حتى في القرن الجاري.

فالباب الثاني يدور على تاريخ موجز لمجتمع مابلا وتأثير ثقافة العرب على المجتمع والخلفية الإجتمعاعية والسياسية لولاية كيرالا وعلاقتها مع العرب. وتختتم هذا الباب بالتفاصل لمقاومة 'مابلا' ضد البرتغاليين.

فالباب الثالث يبحث عن تأثير اللغة العربية علي اللغة الماليالمية وعن الكلمات العربية التي تستعمل فيها. و يركزعلى دراسة لغة 'عربي- ماليالم' خاصة واستخدامها في الكتابة. وقد حاولنا أن نرفق بعض الكلمات العربية التي استعملت في أدب 'عربي- ماليالم' وتأثير العربية فيها.

الباب الأول

اللغة العربية ونموها بين اللغات السامية

اللغة وسيلة للتعبير عن العواطف والمقاصد والأفكار كما هي أداة للتعبير عن النفس وواسطة للتفاهم بين الناس. ويكون التعبير بالحركات كما يكون بالأصوات. يقول العلامة السيوطي عن آراء اللغويين " ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الريح، وحنين الرعد، وحريز الماء، وشحيق الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد "[1]. الأصوات نوعان. الأول: الأصوات المستعجمة من الإنسان التي يطلقها عادة بأحوال الخوف والرعب والفرح والإعجاب والإستصراخ والإستنجاد. والثاني: الأصوات الفصيحة التي نشأت في الأمم المختلفة متواصلة بمعان مقصودة معيّنة.

وكانت اللغة عاملة مهمة في حياة كل أمة لتطور ثقافتها واستمرار حضارتها وتوريث خصائصها. لم يستعمل الإنسان اللغة في صورتها الحالية لإظهار شعوره. وما زالت باقية على الأصوات الطبيعية الموروثة الموجودة في الخليقة الإنسانية من أوّل الدهر كإظهار الوجه عند الغضب والسرور. ويقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه ' تاريخ آداب العرب' عن نشأة اللغة " أن لبعض القبائل المتوحشة من سكان أوستراليا وأواسط

[1] جلال الدين السيوطي، العلامة عبد الرحمن، *المزهر* ، ج.١، بيروت: منشورات المكتبة العصرية ١٩٨٧، ص:١٤.

أمريكا الجنوبية ألفاظا، ولكنّها محض أصوات لاتدل على المعاني المقصودة منها إلا إذا صحبتها الإشارة والحركة والإضطراب، بحيث إن العين هي التي تفهمها لا الأذن، وهم إذا انسدل الليل وأغمدت الألحاظ في أجفانها حبسوا ألسنتهم وباتوا بحياة نائمة، ومن ثم قيل إن الإنسان استعمل الصوت للدلالة بعد استكمل علم الإشارة"[2].

وبعد ذلك ارتقى الإنسان في استعمال الأصوات لتحصيل الحاجات المتزائدة مع تجديد الأصوات وتبديل مخارجها وتشكلت الألفاظ العديدة ثم تفرعت إلى لغات شتى. وحينما بلغ الإنسان إلى هذه الدرجة دخلت اللغة في الطور الصناعي وجرى عليها أحكام الإشتقاق وقواعد النحو.

وتنقسم اللغات إلى طبقات عديدة. ومنها ' اللغة البائدة '[3] (Transitory Language) كاللغة الفينيقية والفهلوية، و' اللغات المهجورة '[4] كاللغة السانسكريتية واليونانية واللاتينية والسريانية، و'اللغة المشهورة ' أو 'الحية' كالعربية والفارسية والاردية والإنجليزية والتركية والإيطالية وغيرها.

يقسم العلماء اللغويون اللغات إلى مجموعتين مهمتين بإعتبارات جغرافية وتاريخية واجتماعية. إحداهما الفصيلة الهندية- الأوروبية(Indo-European)، وثانيهما الحامية- السامية (Chemito-Semitic). وتختص

---

[2] صادق الرافعي، مصطفى، *تاريخ آداب العرب* ج. ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤ ، ص:٥٨-٥٩.
[3] هي لغة التي يتكلم الأقوام كلغات الأمم والشعوب ثم نسيت وبقي آثارها كالألفاظ والتراكيب والجمل.
[4] هي لغة ترك أهلها التكلم ثم صارت محفوظة في الكتب والمعابد

اللغات في كل من هاتين الفصيلتين بالتشابه فيما بينهن في الأصول والقواعد والتراكيب. وأما الفصيلة الهندية- الأوروبية هي أكثر تأثيرًا على اللغات العالمية. وهي تشتمل على ثمان لغات مختلفة فهي (١) اللغات الآرية مع فرعي الهندي والإيراني، (٢) اللغات اليونانية مع قديمها وحديثها، (٣) اللغات الإيطالية مع فروع عديدة مثل اللاتينية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والرمانية، (٤) اللغات الجرمانية مع شعبتان مهمتان هما الغربية والشمالية ومن الشعبة الغربية اللغات الإنجليزية والهولندية والألمانية ومن الشعبة الشمالية اللغات الدانماركية والسويدية والنرويجية، (٥) اللغات السلاقية مع فروعها الروسية والتشيكية والبولونية والبلغارية والبروسية، (٦) اللغات الأرمينية، (٧) اللغات الألبانية، (٨) اللغات الكلتية(Celtes)[٥].

وأما الفصيلة الحامية- السامية ما انتشرت كالفصيلة الأولى(الهندية- الأوروبية) ولها مجموعتان، إحداهما اللغات الحامية وفيها المصرية والبربرية والكوشيتية. وتشتمل المصرية اللغة المصرية القديمة والقبطية. وتضمن البربرية لغة سكان الأصليين من شمال افريقية مثل تونس ومراكش والجزائروطرابلس والصحراء، وتحتوي الكوشيتية لغة سكان الأصليين من شرق افريقية- وهي من لغة سامية[٦].

---

[5] كان ينطق بها شعوب الكلت، وقد غلبتها الآن اللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

[6] د. صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، بيروت: دار العلم للملايين، ج. ١ ، ، ١٩٨٦، ص: ٤١- ٤٤.

وأما اللغات السامية تتضمن على الشعوب الآرامية والفينيقية والعربية واليمنية والبابلية والأشورية والعبرية . وأول من أطلق هذا اللقب على تلك الشعوب هوالعالم الألماني ' شلوتزير' (Schlotzer) في أواخرالقرن الثامن عشر، فهي مقتبسة من أسماء أولاد نوح عليه السلام (سام، حام، يافث)، لأنه قد تكونت هذه الشعوب والقبائل من كل منهم.

نشأة اللغة العربية

إن اللغة العربية تعتبر من أقدم اللغات السامية. وإذا أردنا أن نصف شجرة اللغات السامية لوجدنا كيف تفرّغت عنها اللغة العربية. تنقسم هذه اللغة في أصل نشأتها إلى شرقية وغربية. فمن الشرقية اللغة البابلية-الآشورية. فالغربية تنقسم إلى شعبتين أخريين، هما شمالية وجنوبية. وتحتوي الشمالية على الكنعانية[٧] والآرامية. وتشتمل الجنوبية على العربية الجنوبية والشمالية. ويطلق العلماء على العربية الجنوبية باسم ' اليمنية القديمة ' أو ' القحطانية ' أو ' السبئية '. إن هذه اللغة بلهجاتها المتعددة تختلف عن اللغة العربية الشمالية اختلافا أساسيا في القواعد النحوية والدلالات المعنوية والمظاهر الصوتية. والمعينية[٨] والسبئية[٩] والحضرمية[١٠] والقتبانية[١١] كلها من أهم اللهجات الجنوبية الأربعة.

---

[7] هي لغة القبائل العربية التي نزحت على الأرجح من القسم الجنوب الغربي من بلاد الغرب، واستوطنت فلسطين وسورية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط. ولهجات الكنعانية إلى الأجريتية والكنعانية القديمة والمؤابية والفينيقية والعبرية .

[8] هي اللهجة المنسوبة إلى المعينيين الذين أسسوا في بلاد العرب.

[9] تنسب هذه اللهجة إلى السبئين الذين أقاموا مملكتهم على أنقاض المملكة المعينية.

[10] هي لهجة منسوبة إلى حضرموت.

[11] هي لهجة منسوبة إلى قتبان(Quataban) وهي مملكة عظيمة أنشئت في منطقة الساحلية الواقعية في شمال عدن.

وأما اللغة العربية الشمالية لا نكاد نعرف شيئا عن نشأتها والمراحل التي اجتازها في عصورها الأولى. تنقسم إلى العربية البائدة والعربية الباقية[١٢]. وأهم لهجات العربية البائدة ثلاث: الثمودية[١٣] والصفوية[١٤] واللحيانية[١٥].

هذه هي سلسلة مراحل تطور اللغات السامية إلى اللغة العربية. وكانت القبائل العربية تتجول في بقع الجزيرة بلا حدود ولا قيود. يقول الدكتور صبحي الصالح في كتابه ' دراسات في فقه اللغة' عن ابراز العربية في جزيرة العرب الغربية الشمالية " أن الكنعانية والعبرية ظهرتا في فلسطين وسورية وبعض جزر البحر الأبيض ، وأن الآرامية والسريانية عاشتا في العراق وسورية وفلسطين، وأن كثيرا من الباحثين جعل المهد الأول لهذا الشعوب السامية جزيرة العرب "[١٦].

وإذا فتشنا عن التقارب المكاني والزماني في اللغة العربية فنرى أن العربية فرع من فصيلة السامية. ترجع اللغات السامية إلى ثلاثة فروع : الآرامية، والعبرانية، والعربية كما ترجع اللغات الآرية إلى ثلاثة فروع: هي اللاتينية والسانسكريتية، واليونانية. أن أصل اللغات السامية هواللسان البابلي القديم، لذلك المشابهة بين اللسان البابلي وبين العربية شديدة . لأنّ

---

[12] هي نستخمها الآن في الكتابة والتأليف والأدب وصلت إلينا بواسطة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسنة النبوية.
[13] هي لهجة منسوبة إلى قبائل ثمود التي جاء في القرآن في مواضع كثيرة
[14] تنسب هذه اللهجة إلى منطقة الصفا.
[15] هي اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التي يرجح أنها كانت تسكن شمال الحجاز قبل الميلاد.
[16] د. صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، بيروت، دار العلوم والملايين ، ١٩٨٦، ص: ٥٨.

حركات الإعراب وعلامات الجمع في اللغتين واحدة إلى حد لا نراه في اللغات السامية الأخرى.

ومن خلاصة القول أنّ اللغات كلها مرتبطة ومتواصلة في الأصل. وكذلك ظهرت جميع اللغات متتابعة في وقت طويل ومتلاحق في زمن كثير كما يشير إمام السيوطي مستدلا بقول ابن جني" أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحدة، بل وقعت متلاحقة ومتتابعة"[١٧].

اللهجات العربية:- إذا أردنا دراسة من اللهجات العربية لنرى فيها لهجات مختلفة عديدة مع تبديل الحروف وحذفها وثبوتها ما كان عامة العرب يتحدثون بلغة مثالية واحدة. بل كانوا يعبّرون بلهجاتهم الخاصة. وكانوا يظهرون آرائهم ومشاعيرهم باستعمال لهجاتهم وخصائص ألحانهم. يقول ابن هشام[١٨] " كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن ههنا كثرت الروايات في بعض الأبيات"[١٩]

والسبب لذلك كان اللغويون الأقدميون لم يعرضوا لنا شيئًا من اللهجات العربية في العصور المختلفة. لأنهم شغلوا بدراسات اللغة الأدبية الفصحى والآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام. وكان العرب يتكلمون على

---

[17] جلال الدين السيوطي، العلامة عبد الرحمن.، *المزهر* ، ج.١ ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، ١٩٨٧، ص: ٥٥.

[18] هو إمام عربي ونحوي مشهور. اسمه عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين . يعرف بابن هشام. وألف كتبا عديدة كا "الجامع الصغير" وغيرها، وتوفي ٧٦١هـ (أنظر الدّرر الكامنة ٣٠٨\٢)

[19] د. صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، ج.١، بيروت ، دار العلم الملايين، ط. ١١، ١٩٨٦، ص:٦٠.

أسباب لهجات قبيلتهم . اختلفت اللهجات واختلفت معها الألفاظ أيضا- فمثلا- تنطق قبيلية " الصقر" بالصّاد، والأخرى بالسين(السقر) والثلاثة بالزاي (الزقر)، وهكذا نشأت اللهجات في اللغة مع قواعدها النحوية والصرفية. نرى في البيئة الحضرية في مكة والمدينة لهجات تختلف عن لهجات البيئة البدوية والمنعزلة بضرورة الحال. يقول الدكتور صبحي الصالح " فمهما تكن اللغة العربية قد صُقلت وتوحدت قبل الإسلام ، ومهما تكن وحدتها قد قوّيت وتمّت بعد الإسلام"[٢٠]

إن أشهر القبائل مثل تميم ، وطيئ، وهذيل كانت لها لهجات خاصة تختلف عن اللغة الأدبية المثالية، وكذلك تشتمل في لهجة قريش على العوامل السياسية والدينية والإقتصادية. فارتفعت لهجة قريش عن لهجات القبائل الأخرى في الفصاحة وصاروا أفصح العرب. ولذلك أستعملت لغة قريش وحدها في الكتابة والتأليف والخطابة.

وفي بعض الأحيان، تستعمل القبائل في لهجاتهم ألفاظًا تختلف عن الألفاظ المشهورة بصيغها المختلفة مع مراعات قواعد اللغة وأصولها. نرى في لهجة التميمية والقرشية قياسًا في القواعد- على سبيل المثال- يقيس التميميون في كسر أوائل الأفعال المضارعة، ويؤكد ابن منظور في كتابه ' لسان العرب' كما قال صبحي صالح نسبة إلى قول سيبويه في هذه العبارة " وزعم سيبويه أنهم يقولون: تَقى الله رجلٌ فعلٌ خيرً، يريدون اتقي

---

[20] د. صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، ج. ١، بيروت، دار العلم الملايين ط.١١، ١٩٨٦، ص: ٦٥.

الله رجل، فيحذفون ويخففون، وتقول أنت: تَتَّقى الله، وتِتّقي الله، على لغة من قال تَعْلَمْ وتِعْلَمْ. وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب. وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزدالسراة وبعض هذيل فيقولون: تَعْلَمْ والقرآن عليها. قال: وزعم الأخفش أن كل من ورد علينا من الاعراب لم يقل إلا تِعْلَمْ. قال: نقلته من نوادر أبي زيد"[٢١] (هو أبو زيد الأنصاري).

ونرى اختلافا كثيرا بين لهجة تميم ولهجات لغات أخرى في الهمزة والإدغام وفي صيغ بعض الأفعال والأسماء واسم الإشارات وأحوال الظرف والتذكير والتأنيث. وكذلك كل واحد من القبائل تتخالف بعضهم بعضا من تبديل الحروف وأصوات الحروف. وفي كل من هذا نجد أن كل قبيلة من القبائل يراعي بعضهم لغة بعض وأخذ بعضهم عن بعض.

وكذلك تجعل قبائل مضر وربيعة شينًا بعد كاف الخطاب، فيقولون ' رأيتكش' بدلا من ' رأيتك' ، و'عليكش' بدلاً من ' عليك'. يعرف هذا ' الكشكشة'. وكذلك الفحفحة[٢٢] في لغة هذيل يجعلون الحاء عينًا، والعجعجة في لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيمًا، مثل ' تيمّجّ ' بدلاً من ' تيميّ ' و' فقيمجّ ' بدلاً من ' فقيميّ '. وهكذا نأتي سطرين في شاعرهم.

(١) " فعيناش عيناها، وجيدش جيدها ولونش، إلى أنها غير عاطل"

---

[21] د. صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، ج. ١، بيروت، دار العلم الملايين ط.١١، ١٩٨٦، ص: ٧٣-٧٤.
[22] يُعرف هؤلاء الأسماء بموجب لهجة قبائلهم وأساليبهم.

(٢) "خالي عويف وأبو علجّ المطعمان اللحم بالعشجّ وبالغداة فلق البرنجّ "[٢٣]

إن اللهجات العربية القديمة تنقسم إلى اللهجات البائدة والباقية- كما سبق- أما اللهجات البائدة تتضمن اللهجات العربية الجنوبية وبعض اللهجات العربية الشمالية، وأما الباقية تتضمن فيها الأشعار الجاهلية ولغة القرآن الكريم ولا نزال نستعمل هذا حتى في عصرنا الحاضر. وهكذا كُتبت هذه اللهجات بالخط المسند الجنوبي وبالخط الأرامي. ومنها اللهجة الثمودية واللحيانية والصفوية والنبطية.

ومن هذا فهمنا في هذه الدراسة أن أصل اللغة العربية مقتبسة ومنفصلة من الحبشية والحميرية ومن اللغات السامية الأخرى. وفهمنا اختلاف اللهجات العربية القديمة بعضها ببعض. ولكن نركزعلى الفروق بين لهجتي قريش وتميم. لأنهما لهجتان عظيمتان بين اللهجات العربية. بأن العرب جعلوا لهجة قريش لغتهم الأدبيية المشتركة وأثرت فيهم.

ولما نلتفت إلى لهجات حديثة كان هناك لهجات مختلفة خاصة في اللهجات الخليجية. تتكلم اللغة الخليجية أواللغة المحلية في شمال العرب في منطقة العراق – من جنوب بغداد إلى مناطق الخليج الفارسي المجاورة- والجزيرة العرب إلى حدٍّ بعيد. وتستعمل لهجة أخرى في جزء من جنوب الجزيرة خاصة في اليمن وعمان. وهناك لهجة يستعملها مجموعة من

---

[23] نقلا عن دراسات فقه اللغة للدتورصبحي الصالح ص: ٦٨

العرب في الكويت والسعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر والبحرين وبعض من إيران. وهذه اللهجة تستعمل في لغة مصر ونجد. تحتوي من مصر وبلوجية وفرس وبوشتو(Pusto) والصومال[٢٤].

إن اللغة العربية الخليجية جزء من العربية الشرقية أيضا . يقوم بهذه اللهجة معظم منطقة الإفريقية الجنوبية (مصر وسودان) والشرق الأوسط(سورية، العراق، الجزيرة العربية). وتستعمل عرب مصر في لبنان وسورية وإسرائيل وفلسطين ومناطق المجاورة أيضا. وتشتمل العربية والغربية في لهجة ليبيا غربية من المغرب وبلاد الإفريقية الشمالية[٢٥].

وأحوال اللهجة في المناطق الخليجية والعراق والأماكن الأخرى في العرب مختلفة ومركبة. وتوجد لهجات مختلفة مدنية في العراق تتضمن لهجة المدن في منطقة ميسوبوتامية(Mesopotamia) حول بصرة وبعض من لهجة بغداد. وتبقى هناك لهجة قُروية أيضا، وتشابه لهجة خليجية في منطقة المدن والقرى بين البدوية . وتتواجد لهجة منطقية بالعربية الحديثة في أماكن أخرى[٢٦].

---

[24] F, Haider, Abu., " Iraq: Language Situation", *In R.E.Asher,ed:The encyclopedia of Language and lingustics,vol.4.1774* oxford:Pergamon press,1994.

[25] Grimes, B.F., *Ethnologue, Language of the world.Dallas,TX:Summer Institute of Linguistics*,1992.

[26] Batson, M.C., *Arabic Language Handbook.Washington:Centre for applied linguistics*,1967

وبعد انشعبت اللغات من البابلية ذهب المعينون[٢٧] إلى يمن. وكانت لغتهم من البابلية، وهم اقتبسوا حروف الفينيقيين واستعملوها في التدوين ، يعرف هذا بالقلم الحميري، وبعد نشأة الدولة البيئية اقتبس القحطانيون لغة المعينيين وأخذوا العربية عن العرب العاربة- هذه العربية يعد من لغة حمير، لا لغة مضر- وبعد ابتداء الدولة الحميرية (من سنة ١١٥ إلى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد) ظهرت عربية مضر. وكان أصل الأحباش عربيا، لأنهم هاجروا من اليمن في زمن المعينيين، ولغتهم متشابهة باللغات المعينية والبابلية و الحميرية، لكن الأحرف الحبشية تُكتب من اليسار إلى اليمين.[٢٨]

وأما إذا نظرنا إلى تطور اللغة وتهذيبها تدريجيا من العصر الجاهلي إلى عصر الحديث نصل إلى أقوال علماء العرب. وهم يقولون لغة اسمعيل عليه السلام وأبنائه هوأصل اللغة العربية المضرية. ولما انتشر أولاد اسمعيل عليه السلام إلى أنحاء العالم انشعبت القبائل منهم، فلما تفرقت القبائل أخذت اللهجات بصورة متنوعة. ومن ثم نشأت لغات كثيرة. ولما نشأ بينهم التنافس في أحكام اللغة ساعدهم الأسواق في تطويراللغة. فهكذا شرع دور تهذيب اللغة العربية[٢٩]. ويشير الجاحظ بقولة " أما الخواصّ الخلّص فإنهم قالوا: العرب كلهم شيئ واحد، لأن الدار والجزيرة واحدة، والأخلاق والشيم واحدة، وبينهم من التصاهر والتشابك والإتفاق في

---

[27] هم من قبائل الذين اقتبسوا تمدن السومريين مع الدولة البابلية في عصر حمورابي.
[28] صادق الرافعي، مصطفى، *تاريخ آداب العرب*، ج. ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٤، ص: ٧٤-٨٠.
[29] نفس المصدر، ص:٨٧- ٩٠.

الأخلاق وفي الإعراق ومن جهة الخئولة المردّدة والعمومة المشتبكة. ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء ، فهم في ذلك شيئ واحد " في الطبيعة واللغة " والهمّة والشمال..."[٣٠] ومع هذا نستطيع أن نجد اللغة في قريش متوارثة من سلسلة اسمعيل عليه السلام. وبقيت على صورة واحدة زهاء خمسة وعشرين قرنا[٣١]. كانت اللغة منسوبة إلى الأجيال المختلفة خلال التاريخ. وبموجب هذا يمكن لنا أن نقول إن التهذيب الأول حقيقي في اللغة العربية قد وقع في عهد اسمعيل عليه السلام.

بداية الخط العربي

الآن، نبحث كيف نشأ وتطور الخط والكتابة في اللغة العربية. وفي أوّل الأمرنقش الرعاة ورجال القوافل الأحجار في جزيرة العربية وشمالها بأسماء آلهتهم متضرعين إليها أن تحميهم، وكانوا يذكرون ويقدمون إليها من قرابين ويكتبونها على قبورهم بأسمائهم وأسماء عشائرهم. وبينما عرف عرب الجنوب بخطهم المسند، نشأ منه الخط الحبشي وخطوط اللهجات العربية الشمالية القديمة من اللحيانية والثمودية والصفوية. ويستعملون " ها " بدلا من " ال " لأداة التعريف بالخط المعيني وبالخط النبطي. واستمرت نقوشهم إلى القرن الثالث الميلادي. وبعدما هجرالخط اللحياني والثمودي والصفوي بعد سقوط دولتهم أخذ شيوخ العرب وأمرائهم خطهم في كتابة نقوشهم. وبعدئذ تطور هذا الخط النبطي الآرامي

---

[30] نفس المصدر، ص:٨٨ .
[31] نفس المصدر، ص: ٨٦-٩٠.

إلى الخط العربي الذي كتب به القرآن الكريم ونحوه. وهناك آراء كثيرة عند المؤرخين المسلمين ، بعضهم يزعمون أن هذا الخط نشأ من الحيرة ونقل إلى مكة والحجاز. فوجدوا انتقال نقوش الحجازية أو غير الحجازية من الخط الآرامي إلى خط نبطي، ثم انتقل هذا الخط إلى الخط العربي. ولكن نفهم أنه كانت نشاة الخط العربي من الخط النبطي، لأن الحيرة قبيل الإسلام كانت نصرانية توسمت بالثقافة السريانية كما كانت تكتب بالخط السرياني[٣٢].

ويشرح الدكتور شوقي ضيف عن نشأته ويقول: " فقد كانت بها حياة تجارية مزدهرة، جعلتهم يأخذون الخط المعيني أولا، ويتطورون به إلى خطوطهم اللحيانية والثمودية والصفوية. ثم لما ظهرت مملكة النبط واستخدمت الخط الآرامي وتطورت به، وتفرق أهلها بعد سقوطها في داخل الجزيرة وعلى طول طريق القوافل التجارية نشروا قلمهم النبطي، فهجر عرب الحجاز القلم المعيني وأخذوا يحاولون النفوذ من الخط النبطي إلى خطهم العربي الجديد المتطورين به ضروبا من التطور حتى أخذ شكله النهائي"[٣٣].

إن الخط العربي نشأ منذ أخذ صيغته النهائية في أوائل القرن السادس الميلادي في ذلك الظروف الوثنية العربية الخالصة بإختلاف تام عن الخط الكوفي. وبعد هذا توطرت إلى الكتابة أيضا.

---

[32] د. ضيف، شوقي.، *تاريخ الأدب العربي- العصر الإسلامي دار المعارف*، القاهرة ، ص: ٣٢-٣٧.
[33] نفس المصدر، ص: ٣٤-٣٥.

توسعت اللغة العربية مدًى في مرّ الزمان، وظهر استعمال العربية بسعة. وفي البداية كانت لغة طبيعة بدوية ثم صارت لغة الحياة المتصرفة بالألسنة والأقلام وتعالج بالعلوم والآداب والصناعات والتجارات التي قام بها التمدن الإسلامي. واليوم ظلت هذه اللغة لغة عالمية مهمّة. وإذا بحثنا عن حياة العرب الجاهليين وجدنا أنهم كانوا في مرتبة عالية في الأدب وإبرازه. وتطور اللغة حسب الأزمنة والأمكنية وحاجات المتكلمين بها، وكذلك اختلقت اللغة العربية بين القبائل الشمالية والقبائل الجنوبية- كما ذكرناه آنفا- ولما نزل القرآن بلغة قريش- هو أفصح قبائل العرب عند علماء اللغة- تطورت اللغة وتغيرت بإتيان الألفاظ الجديدة والتراكيب الإسلامية والقواعد النحوية.

Jawaharlal Nehru University Library
TH - 18389

وإذا لاحظنا من ناحية الأسماء وجدنا مترادفات كثيرة مختلفة لإسم واحد. نرى للأسد- مثلا- خمس مئة مترادف، وللحية مئتين والخ[٣٤]. معظم هذه المترادفات من أوصافها. ولكن في بعض آراء العلماء القدام ليس في العربية مترادف. وهم يعتبرونها اسماءً لذاتها أو أسماء صفات لها أو صفات صفات لها. وفي رأي أبو العباس الثعلب[٣٥] أن " ما يظن من المترادفات فهم من المتباينات"[٣٦]

---

[34] صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، ج. ١، بيروت، دار العلم الملايين ط.١١، ١٩٨٦، ص: ٢٩٤.

[35] إمام الكوفيين في النحو. المعروف بالثعلب، توفي سنة ١٢٩هـ له كتب عديدة مثل "الفصيح" و " قواعد الشعر" و " شرح ديوان الأعشى" وغيرها.

[36] صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، ج. ١، بيروت، دار العلم الملايين ط.١١، ١٩٨٦، ص: ٢٩٢.

وفي رأي ابن فارس عن الإسم الواحد هو الإسم الحقيقي. وما بعده من ألقابه. مثل السيف والمهند والحسام. ولم ير بين الإسم والوصف أو بين اسم وآخر فروقا دقيقة، وكذلك الأفعال التي تفيد وقوع الأحداث في زمن معين. لايمكن أن نقول بالترادف فيها نحو ذهب ومضى وانطلق، وجلس وقعد وغيرها. ولقد أدرك في العربية ألفاظا مختلفة تشيرإلى صوت الشيئ الواحد كما نرى في صوت الإنسان مثل همسا أو جرسا ، وفي صوت الماء مثل حريز (إذا جرى) وقسيب(إذا كان تحت ورق) وهكذا. ويقول علماء الأصول بتفسير وقوع الترادف في موضعين مختلفين "هو الأكبر: بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الإسمين والأخرى الإسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الواضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع آخر، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية"[٣٧]. وفي هذا الرأي انتقل كثير من مفردات القبائل الأخرى إلى هذه اللغة، وظلت جزء من صيغها وألفاظها. وتوجد في اللغة العربية ألفاظ مشتركة أيضا مثل سائر اللغات كما توجد الأضداد. فيكون الحرف منها يعرف عن معنين مختلفين. قال السيوطي عن الأضداد بقوله هو نوع من المشترك. على سبيل المثال السدفة في لغة ..... هي 'الظلمة'

---

[37] جلال الدين السيوطي، العلامة عبد الرحمن.، *المزهر* ، ج.١، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٧، ص: ٤٠٥.

ومعناه في لغة قيس ' الضوء'. فهكذا أصبح التضاد وسيلة التنوع في الألفاظ والأساليب[٣٨]. وهذا اتساع العربية في التعبير والمشترك والأضداد.

إن العربية نشأت مع ألفاظ ضعيفة وتصرفات محدودة في أول الأمر. لما كانت مظاهر الحياة محدودة آنذاك، وبعد قرون عديدة تشعبت حاجاتهم وكثرت متطلباتهم لنموهم وجولاتهم من وطن إلى وطن آخر. فكثرت الألفاظ والتصرفات اللغوية. وبعد ذلك حينما انتقل القبائل العربية إلى الأسواق والمدن كان عاملا مهما لذيوع الألفاظ والتراكيب والإستعمالات اللغوية[٣٩]. ولما وصل القوم إلى درجة حضارة صارت اللغة أكثر ضبطا واستعدادا وابرازا في الكتابة والشعر. وارتقت العربية ارتقاءً كبيرا، وبلغت إلى القمّة في التعابير وفي الألفاظ عن المعاني المختلفة والكلمات العذبة. وتهيّأت في كلمةٍ فصيحة ومعانٍ بليغة وأساليبٍ جميلة قبل ظهور الإسلام. وبعد نزول القرآن ارتفعت العربية على التطور العجيب في الصيغة والمفردات والأساليب والتراكيب. وصارت اللهجة محدودة وصارت إلى القمة العليا من الكمال[٤٠].

تهذيب اللغة العربية:- كان للعرب في الجاهلية دور مهم وأثر قوي في تهذيب العربية. وكانوا ينعقدون الأسواق الأدبية للبياعات والتسوّق في شهر واحد سنويا. ويظاهرون أقوالا مقارضة وآراء مفاوضة وأشعارا

---

[38] نفس المصدر ص: ٣٨٧.

[39] د. السيد علي بلاسي، محمد، "اللغة العربية حتى نزول القرآن" ر.ت. سعيد الأعظمي، *البعث الإسلامي، مجلة شهرية، المجلة الثامن*، لكناؤ، ندوة العلماء، مارس- إبريل ٢٠٠٣ ص: ٩-١٢.

[40] نفس المصدر، ص: ٧- ١١.

مبادهة. ومع هذا يرسلون القوافل التجارة إلى أنحاء العالم من الهند واليمن والشام ومصر وغيرها. وكانوا قوما مختلطا بالحبشة والفرس والروم. ويقول أديب الكبير أحمد حسن الزيات " فتهيأت لهم بذلك الوسائل لثقافة اللسان والفكر. ثم سمعوا المناطق المختلفة، وتدبروا المعاني الجديدة ، ونقلوا الألفاظ المستحدثة، واختاروا لغتهم من أفصح اللغات، فكانت أعذبها لفظا، وأبلغها أسلوبا، وأوسعها مادة"[41]. ومن هذا ندرك العربية صارت في مرحلة اولى بالتهذيب والفصاحة قبل نزول القرآن.

ولما نزل القرآن شغل المسلمون بالقرآن وعكفوا في المسجد بتلاوة القرآن والدعاء. فأثرالقرآن في العرب فصارت اللغة أكثرعذوبة في الألفاظ ورقة في التركيب وقوة في المنطق وثروة في المعاني كما قال أحمد حسن الزيات. وانبثقت ألفاظا جديدا بأعمالهم اليومية كالصلوة والزكاة والقيام والركوع والسجود والمؤمن والكافر وغيرها. ونشأ علوما جديدة كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والتفسير والفقه. واستحدثت الألفاظ لفهم معانٍ دينية وفقهية.

وفي عهد العباس ازدهرت اللغة وانتشرت العلوم ونقلوا من الفارسية والهندية واليونانية . وتطورت المصطلحات العلمية كما انبثقت ألفاظا جديدة في الإدارية والمنزلية والإقتصادية والسياسية. وأتطورت الترجمة

---

[41] الزيات، أحمد حسن.، *تاريخ الأدب العربي* ، بيروت: دار المعارف ، ط- ٤ ، ١٩٩٤، ص: ١٧.

مرتفعا حتى أسست مأمون ' دار الحكمة '[42] واقتبست العربية أساليب كثيرة من الفارسية كالتبجيل والإحتشام وإحداث الألقاب والنعوت والإسهاب وتأدية المعنى وجمل الترادف وغيرها. ومع هذا زالت اللغة تتسع وتنمو حتى نشأت علوم الفلسفة والطب والهندسة وغيرها. وما زالت اللغة في هذا الزمان تتسع وتنمو حتى نشأت علوم الفلسفة والطب والهندسة وغيرها. وبالإضافة إلى ذلك نمى النثر والشعر والخطابة والكتابة والرسالة بألفاظ فصيحة جديدة وازدهرت آفاقهم العقلية والعربية فصارت الأندلس بحضارة إسلامية. فاقتبس الأسبانيون ثقافة العرب وتكلموا بلغتهم وتعلّموا أدبهم حتى انهضوا إلى شتى المجالات[43].

اللغة العربية في العصر الحديث

إن اللغة العربية من أقدم اللغات وأقواها في الجودة وأوسعها في التعبير من اللغات الإنسانية جميعا، وأما في العصر الحديث فأصبحت هي عنصرًا علميًا مستقلاً. ولكن لم نجد المصطلحات التي توجد فى الكشوف العلمية والإختراعية خلال العربية . لأنها ليست لنا العلوم والتدريس عن هؤلاء الموضوع في الجامعات العربية . ونرى التعريب في معظم الجامعات العربية في العالم العربي. وهذا التعريب ساعد لنشر اللغة في المجالات الاصطلاحية. ويقول صبحي الصالح " فالدراسات القانونية والإجتماعية- بوجه عام- إنما تدرس باللغة العربية، وكذلك الدراسات

---

[42] حركة أدبية التي ترجمت فيها كتبا كثيرة من لغات أجنبية إلى العربية

[43] الزيات ، أحمد حسن.، *تاريخ الأدب العربي* ، بيروت: دار المعارف ، ط-٤ ، ١٩٩٤، ص: ١٥٤-١٥٥.

العلمية من طبيعة وهندسة ورياضة، بل يدرّس في الجامعات الجمهورية العربية المتحدة نظريات الدرة والإلكترونات باللغة العربية، ولم يبق إلا بعض الدراسات الطبية التي لم تستكمل وسائلها في المكتبة العربية"[٤٤].

كانت للغة العربية دورهامّ في إفريقية واتسعت بواسطة افريقية شمالية، نشر العرب هناك ثقافتهم ولغتهم مع اعتقادهم. كان الناس المحتلين الذين اعتنقوا الإسلام امتصّوا اعتقاد العرب ولغتهم، واحتل العرب اللغة التي تموت تدريجيا. ولما أمكن العرب سيطرة اعتبارية إلى الهند وحدود الصين في الشرق، وإلى حدود أرمينيا في الشمال، وإلى خليج الفرس بمنطقة البحور الأسود وكاسبيان (Black and Caspian Sea) في الجنوب، وإلي القبرص (Cypress) البحرالأبيض المتوسط، وإلى 'كريت'(Crete) وإلى ' سردينية' (Sardinia) وإلى الصقلية (Sicily)، وإلى أسبانيا من جانب عبرافريقية الشمالية نفذوا العربية مع الدعوة الإسلامية في تلك البلاد. وانتشرت العربية في خارج دول الجامعة العربية أكثر من اللغات الوطنية الأفريقية. وانتشرت أيضا الإسلام واللغة معا بإعتقادات الإسلامية. لأن العرب أمة واحدة باللغة العامة(وإن كانت اللهجات مختلفة) والتقاليد الثقافية العامة وتاريخ العام. فاق التعريب في شمال إفريقيا مع الدعوة الإسلامية في المغرب. ولكن لم ينجح في تلك النشاطات. وحينما استمرت

---

[44] صالح، صبحي، *دراسات في فقه اللغة*، ج. ١، بيروت: دار العلم الملايين ط.١١، ١٩٨٦، ص: ٣٥٤.

الإسلام في افريقيا بعد قرون انتشرت اللغة إلى مناطق الغربية والمتوسطة. وكان ذلك في القرن الخامس عشر والسادس الميلادي[٤٥].

وواضح اللغة العربية في السيطرة العثمانية في الفرس والتركي. وتطور بين الكتابة الكلاسيكية المتنوعة وبين الشفهية المتنوعة المختلفة. وانتشرت اللغة العربية في تلك البلاد برغم تحطيم سيطرتهم بواسطة شفهية.

كانت اللغة العربية هي لغة عامة لجميع الناس من 'حلب'(Aleppo) إلى ' عدن' (Aden) ومن عمان إلى مغرب. ومن بداية القرن التاسع عشر الميلادي تراجع الثقافة العربية إلى أسفلها منذ ظهر الإسلام، لأن السبب وراء ذلك احتلال السيطرة العثمانيين معظم بلاد العرب وصارت اللغة التركية لغة ابتدائية للإدارة. ولكن تبقى اللغة هي الشفهية فقط. وفي القرن العشرين رجعت الهوية العربية مع تأثير الأوروبيين في التجارة والصناعة. وبذلك اضطر العرب لإستمرار العلاقة بالأوروبة[٤٦]. وفي القرن الحادي والعشرين ترقى جانب من جوانب التنمية المهمة الشاملة في الأقطار العربية، وموقعها بين اللغات العالمية معتمد ومنشود رسمي. وأهمية التنمية اللغوية العربية تتطلب إلى التقنية المتقدمة الحديثة. فأن المصطلحات حاجة إلى تنميتها للوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة.

---

[45] Ward haigh, Ronald., *Language Competition,* Great Briton: Basil Blackwell Ltd.Oxford, - 1998, P:177- 181.

[46] د. السيد علي بلاسي، محمد.، "اللغة العربية حتى نزول القرآن" ر.ت. سعيد الأعظمي، *البعث الإسلامي، مجلة شهرية، المجلة الثامن*، لكناؤ، ندوة العلماء، مارس- إبريل ٢٠٠٣، ص: ١٥- ٢٢.

مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية :- إن اللغة العربية حافظت على تراكيب جيدة وأساليب حسنة وعلى الحروف والحركات السامية القديمة أكثر من أية لغة سامية أخرى. تبقى على نفسها دون تغيير كبير طوال العصور. فأمكن للعرب في مختلف أنحاء العالم العربي والمتكلمين العربية أن يتحدثوا وأن يتحاوروا وأن يقرأوا في سهولة دون صعوبة ومشقة ظاهرة كما حافظ التباين بين العربية الفصحى سوى اختلاف كبير من اللغة المكتوبة أيضا. فانقلبت اللغة العربية إلى لغة عالمية عقب ظهورالإسلام. تستعمل بها شعوب كثيرة جدا، وقد هاجرعرب الحضر والبادية من أطراف الجزيرة إلى أنحاء العالم. فارتفعت ارتفاعا عالية لا مثيل له حتى وصلت إلى نواحي العالم من الأوروبة والإفريقية وآسيا. والسبب الرئيسي لإتساع اللغة العربية في العالم هو انتشار الإسلام وحفظها خلال العصور. ومنها: كانت اللغة لغة حكام العرب، ولغة رسمية للإدارة، ولغة التجار العرب وتفوقها اللغوي، وبذلك تمتازت العربية وأثرها أثرا كبيرا في نموها وسعتها. وليس لها نظير في أية لغة من اللغات العالمية مثل العربية الحية[٤٧].

وفي عصرنا هذا تستعمل العربية في جامعات عديدة للدراسة العلوم والتكنولوجيا الحديثة بتخصصاتها المختلفة كما استطاعت العربية في القرن الثاني الهجري أن تواجه العلوم القديمة مثل الهندية والفارسية خصوصا في

---

[47] نفس المصدر.

اليونانية من طب وهندسة وكيمياء ورياضيات وفلك وغيرها من علوم ومصطلحات. عندما فتحت الكليات العلوم الأساسية والتطبيقية والمعاهد المتوسطة والعليا اتسعت علم الطب والهندسة والحقوق وغيرها باللغة العربية أيضا. يعنى أن اللغة العربية وصلت إلى قمتها ونموها وتطورها في العصر الحديث.

ومن المعروف أن للعربية مكانا أكبر بين اللغات العالمية بالإفادة التقنيات الحديثة في عصر المعلومات ومكانة مهمة في دول العالم . لأن التنمية اللغوية كانت موضوعة مهمة عند المتخصصين في الدراسات الإقتصادية والإتماعية حيث درحة التركيز على البنية الإقتصادية والإجتماعية وعلى النظام الإداري فإن مستقبل اللغة العربية يرتبط باستخدامها المتزايد في شبكات المعلومات العالمية أيضا[٤٨]. شهدت العربية تحولا رائعا من أجل التقنيات المعلومات عبر الحدود والقارات والحضارات. يتطلب هذا الإثبات مكانة العربية في العالم حتى نجد في الجامعات والوزارات في الدول العربية. وهناك تحديات جديدة أمام اللغة العربية مع اللغات العالمية الكبرى.

وجدنا مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية عالية وثنائية. يشير اللغويون الإحصائيون إلى عدد اللغات العالمية نحو ثلاثة آلاف لغة في العالم مع اختلاف كثيرة بيّنة. وأكثرها لغات محلية لا يمكن أن نصفها وفق

---

[48] الخوري، شحادة، *تعريب تعليم العلوم* ، العدد ١٦، يناير ١٩٩١.

العلمية والإدارية. استخدم إحدى عشرة لغة نحو خمسين مليون نسمة، والعربية في المكان الثامن بين الغات العالمية الكبرى من الصينية والإنجليزية والهندسة والأردية والإسبانية والروسية والبرتغالية. وهي اللغة الرسمية في كل جامعات عربية، وعلى الرغم أن اللغة الفرنسية تنافسها أكثر مجالات الحياة الثقافية والعلمية في دول المغرب العربي. ولكن يُستخدم العربية نحو ١٤٠ مليونا من ١٦٠مليون بين أبناء العرب، ويستخمونها أقل من ٢٠مليون نسمة من الجماعات غير العربية في كل أنحاء العالم[٤٩].

ومكانة اللغة العربية عند المنظمات الدولية عالية. وهي إحدى لغات العمل في المنطقة الوحدة الإفريقية والمنظمة المؤتمر الإسلامي. وتحتوي الخدمات اللغوية المتعلقة بالإجتماعات والدورة العمل مثل الترجمة الشفوية، وترجمة الوثائق الأساسية وترجمة ورقات العمل وترجمة المحاضر وطبع الوثائق وتوزيعها، وترجمة المراسلات والمنشورات، وترجمة الأوراق الإدارية والوثائق. فوجدنا العلاقة وثيقة بين مكانة العربية في الأمم المتحدة. وهي لغة عمل في منظمات دولية متعددة . ولذلك تتحقق مكانة مستمرة بين لغات العمل في المنظمات الدولية[٥٠].

ونرى مدارسا في عدد من الدول الأوروبية تُدرّ س باللغة العربية. وثمة تجربة جديدة لتعليم المدارس لأطفال أوروبية. وتعلم اللغة العربية في

---

[49] فهمي حجازي، محمود.، " اللغة العربية في القرن الحادي والعشرون"، دمشق: *مجلة مجمع اللغة العربية*، المجلد ٧٣، ج: ٣ ، ص: ٤٨١

[50] المرجع السابق ، ص: ٤٩٠.

مناطق التي تسكن فيها أكثر من أبناء بلاد مغرب. وكذلك توجد العربية مادة من مواد امتحان القبول لجامعات لندن واكسفورد وكيمبردج. قد نشأت لأهداف التبشيرية وهم تطورت إلى الحضارة الإسلامية في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلادي. وأما الآن كانت ضرورية أن تعلم اللهجات العربية الحديثة للإهتمام العلمية والطموحات السياسية والإقتصادية والعسكرية في الدول الأوروبية والأمريكية، وهذه الأحوال سادت إلىالجامعات الأوروبية والأمريكية.

اللغة العربية في كيرالا

إن ولاية كيرالا منطقة ساحلية في جنوب الهند، وكانت معروفة باسم ' ملبار' منذ قدم الزمان. وموقعها في الخريطة صغيرة بمقارنة ولايات أخرى في الهند. وسكانها يعيشون بالمودّة والأخوة مع تقاليد عدة وأديان مختلفة من الهندوس والمسيحيين واليهوديين والمسلمين. دخل الإسلام في كيرالا بواسطة التجارة. كانت العلاقة التجارية للعرب مع كيرالا علاقة قيّمة قويّة غيرمرفوضة. لأن التجار العرب استوطنوا هناك، وتزوّجوا منها النساء، ومع هذا بدأوا الدعوة الإسلامية. وهذه العلاقة أثر في سكان كيرالا بالثقافة الإسلامية واللغة العربية. وكان مسلموا كيرالا يعرفون بـ 'مابلا'خاص في ملبار. اختلطت الثقافة الإسلامية في حياتهم الإجتماعية. لأن الإسلام وصل في كيرالا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصل مالك بن دينار وأصحابه إلى كيرالا للدعوة الإسلامية في بداية

ظهور الإسلام، وسافروا عبر ملبار وبنوا مساجد كثيرة فيها. ويقول الشيخ زين الدين المخدوم الثاني عنها " هذا أول ظهور دين الإسلام في ملبار، وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا، وغالب الظن أنه كان بعد المأتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية."[٥١]

وجدنا منها أن العلاقة العرب مع كيرالا بدأت منذ قدم الزمان . وانتشرت اللغة العربية أيضا معها للدعوة الإسلامية. وهي أثرت في مواطني كيرالا تأثيرا عميقا. واستعمل العرب العربية لغة التجارية فقط قبل الإسلام، ولما دخلت الإسلام في كيرالا صارت هذه اللغة ارتباط وثيقة للدراسات الدينية خصوصا لتعليم القرآن والحديث. اعتبر مسلموا مابلا اللغة العربية اعتبارا قبولا حسنا. يستخدمها للتلاوة القرآن والمراجعة الكتب، واستعملوا لنشر العلوم الدينية والنشاطات الإسلامية والإصلاحية. ولأجل ذلك نشأت الثقافة العربية وحضارتها في حياة مسلمي كيرالا وترعرعت لأصلها العريقة في جميع أنحاء كيرالا. ويقول العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي (رحمة الله عليه) عن دخول المسلمين وحضارتها في الهند " دخل المسلمون في الهند وهي تعتز بحضارة أصلية عريقة في القدم، وفلسفة عميقة وعلوم الرياضية دقيقة وخيرات عظيمة من حُبوب وثمار وفواكه..."[٥٢]

---

[51] المخدوم الثاني الملباري، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أحوار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة " الهدي"، ط-١، ١٩٩٦، ص: ٢٩.

[52] على الحسني الندوي، أبوالحسن.، *المسلمون في الهند* ، لكناؤ: المجمع الإسلامي العلمي، ١٩٩٨، ص: ١٢.

وبعد انتشار الإسلام في كيرالا حاول المسلمون لنشر العلوم الدينية. وبذلوا جهدهم في هذا السبيل، وصنفوا كتبا قيمة عديدة ومؤثرة كثيرة في اللغة العربية. فأنجبت كيرالا شخصيات كبيرة ومؤلّفون مشهورون مثل الشيخ أحمد زين الدين المخدوم الثاني الملباري، ومحمد قاضي الأول، السيد علوي تنغاض المنفرمي، القاضي محي الدين وغيرها. وألفوا كتبا كثيرة ذات ثروة علمية وأحكام شرعية وتاريخ موثوق مثل ' فتح المعين وقرّة العين بمهمّات الدين' في الفقه التي تدرّس في الكليات العربية الشرعية في كيرالا وجاوا وسنغافورة ومصر وفي الدول العربية[٥٣]، و'تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين'، و' فتح المبين' لقاضي محمد ابن عبد العزيز في التاريخ[٥٤] وغيرها.

وكانت ' فنان'(Ponnani)[٥٥] أول مركز الدراسة الإسلامية قامت في نشر الدعوة الإسلامية. وابتدأت مراكز كثيرة في مساجد في الفترة الأولي، وبعد ذلك شاعت مراكز عديدة في معظم مساجد. وأصبحت المساجد للعلوم الدينية والتربية الإسلامية، ونبغت فيها علماء وأدباء، واشتهروا في العالم الإسلامية، وطلبوا علوما عميقة ولذلك ارتحلوا إلى بلاد العرب للتعاليم العليا. وبعد سنوات نشأت المدارس الدينية والمعاهد الإسلامية والكليات العربية . وكانت تُدرّس في هذه المراكز اللغة العربية والدراسات الإسلامية

---

[53] الفيضي الديلمي ، عبد الله، " آثار اللغة العربية في كيرالا"، *البعث الإسلامي، مجلة اسلامية شهرية جامعة* لكناؤ: مؤسسة الصحافة والنشر، رجب، ١٤٢٥، ص: ٩٤ .

[54] أحمد مولوي، سي. أن.، & كي. كي. أن. عبد الكريم، *تراث أدب مابلا الأكبر*، ١٩٧٨، ص: ١٥٦.

[55] بلدة في ملبار تعرفها باسم 'مكة ملبار' تقع في منطقة جنوب مالابرم

من التفسير والحديث والفقة وأصولهما وعلم الكلام والمنطق والفلك والتصوف والنحو والصرف وغيرها. وهذه المعاهد ساعدت الطلاب لفهم القرآن الكريم والحديث الشريف.

ما كانت المدارس والكليات في كيرالا لتعليم اللغة العربية في أول الوقت. كانت المساجد مركزا مهما لدراسة الأحكام الدينية فقط. وبعد سنوات تطورت هذه المساجد لتعليم اللغة والأدب أيضا. وانعقدت الفصل في داخل المساجد للدراسة الإبتدائة وخارج المساجد للدراسة العليا. وكذلك انعقدت الدراسة في مكان مجاورة عند المساجد للطلاب والطالبات. تعرفها 'الكتاب' أو 'أوتو بلي'(Othupalli)، وقارنها للكتاب في مصر كما رمز طه حسين في " الأيام"[٥٦]. كان هذا الكتاب شفهيا. وكان منهج دراستها القرآن والأذكار والأوراد فقط. يحفظ الطلاب دروسهم ويذكرون بالتكرار. وبعد قرون تطور النظام الدراسة العربية خلال المدرسة الحديثة مع مناهج الدراسات الحديثة والكتب الدراسية. وأسس الحاج مولانا كنج أحمد الشالياتي[٥٧] 'حركة مدرسية ' وساعدت الحركة للنشاطات العلمية والأعمال الإصلاحية الحديثة.[٥٨]

وهكذا انتقلت الدراسات العربية إلى كليات عربية تحت الحكومة وغيرها. تقوم الكليات العربية أكثر من مأتي حاليا[٥٩]. كانت هناك كليات

---

56 الترجمة الذاتية لطه حسين .

57 هو عالم شهير في كيرالا، وكان مدرس في مدرسة 'تنمية العلوم' بوازاكاد، توفي ١٣٣٨هـ.

58 د. أحمد كوتي، إي. كي.، ر ت. محمد ، وي.، *تذكار اليوبلي الذهبي*(مليالم) ، فاروق: روضة العلوم، ١٩٩٣-١٩٩٤.

59 كوتي مولوي النظامي، أحمد، إي. بي.، *المعلم*، جيضاري: سمست كيرالا جمعية المعلمين، ١/١٢، ص: ١٧.

قليلة قبل تشكيل ولاية كيرالا في بداية القرن العشرين الميلادي. الآن كثرت وتعددت الكليات العديدة الحكومية وغير الحكومية. تساهم جميع الكليات مساهمة جلية ومرموقة بالدراسة اللغة العربية والدعوة الإسلامية، ومع هذا نرى فيها تسهيلات كثيرة لتعليم اللغة العربية. وتخرجت منها مآت من الطلاب والطالبات من هؤلاء الكليات والجامعات في كل سنة، ولعبوا دورهم في تدريس العربية والبحوث والدعوة الإسلامية في البلاد وخارجها. واستمروا على حياتهم الحضارية والثقافية الإسلامية.

والجدير بالذكر أن لمسلمي كيرالا علاقة مرموقة للعرب وارتباطاً في اللغة العربية منذ قدم الزمان. ونرجع إلى حضارة المسلمين وثقافتهم من ملبار ونفهم المعاهد الكثيرة والمدارس الدينية انتشرت في ولاية كيرالا بلا فرق مدن وقُرًى. إذا نبحث عن نسبة التعليم والثقافة بين مسلمي كيرالا وجدناهم سبعين في المأة حصلوا العلوم الدينية مع القراءة والكتابة بلا فرق المذكر والمؤنث[٦٠]. والجدير بالملاحظة أن معظم سكان كيرالا يعرفون الكتابة والقراءة من الرجال والنساء. السبب ذلك أن كل المسلمين يحصلون التعليم الإبتدائية بالأحكام الشرعية في صغرهم. يحاولون أن يتبعوا سنة رسول الله، ويستغرقوا فيها بالجو الإسلامي، ويرتكزوا أن تنقل إلى الأجيال القادمة. ومع هذا كانت المساجد مراكز للتعليم. فلذلك اعترف العلماء بالثروات العلمية وفضلها في كيرالا ، ويقول العلامة السيد الشيخ أبوالحسن

---

[60] أحمد مولوي، سي. أن.، & كي. كي. أن. عبد الكريم، *تراث أدب ملبار الأكبر*، ١٩٧٨، ص:٢٥

علي الحسنى الندوي " للمسلمين في جنوب الهند (مدراس، وكيرالا، وبلاد ملبار) نشاط كبير في نشر التعليم الديني والمدنى ، وتأسيس المدارس الدينية العربية والكليات الإسلامية، ويمتاز أهل ملبار في ولاية كيرالا بشغفهم باللغة العربية وتمسكهم بها، ولهم مدارس منتشرة في المديريات والمدن الكبيرة وما يتبعها من القرى، تعلم فيها اللغة العربية ، كروضة العلوم وسبل السلام ومدينة العلوم والجامعة الندوية التابعة لندوة المجاهدين وغيرها..."[٦١]

المعاهد القديمة للغة العربية

ولما دخل الإسلام في كيرالا واعتنق أهاليها الإسلام وبدأوا أن يدرس عن الإسلام انعقدوا حلقات دراسية في كل مسجد كما انعقدت الصحابة الكرام بالمدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. وتعلّم الناس من هذه الحلقات القرآن الكريم وأحكام الشرعية. وأصبحت المساجد مراكز التعليم والتدريب الدينية ونبغت منها علماء وأدباء. واشتهر عدد منهم في الآفاق الإسلامية بتأليفاتهم العربية واللغة المحلية أيضا مثل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الملباري والقاضي أبوبكر رمضان والشيخ زين الدين بن علي والشيخ زين المخدون الثاني وغيرهم. وكان لهم مؤلفات عديدة في النظم والنثر. سافر كثير منهم إلى البلاد العربية لطلب العلم ولقراءة الأحاديث.

---

[61] على الحسني الندوي، أبوالحسن، *المسلمون في الهند* ، لكناؤ: المجمع الإسلامي العلمي، ١٩٩٨، ص: ١١٨

كانت فنان(Ponnani) مركز دراسية مشهورة في كيرالا. وكانت تعرف باسم 'مكة ملبار'. فبلغت إلى ذروة شهرتها في عهد زين الدين بن علي في القرن السادس عشر الميلادي. كانت في كيرالا مراكز دينية كثيرة. ومنها جامع كالكوت وجامع شاليات كلاهما من أقدم الدروس المساجدية. يذكر بن بطوطة عن هذه الدروس المساجدية "... وبهذا المسجد (أيزي ملا) جماعة من الطلبة يتعلمون العلم ولهم مرتبات من مال المسجد وله مطبخة يصنع فيها الطعام للوارد والمصادر ولإطعام الفقراء من المسلمين بها"[٦٢].

ومن المراكز القديمة مسجد 'بتانور' الذي بدأ سنة ١٣٩٠م و'وازاكاد' و'نادابرم' و 'كوديتور' وغيرها من المساجد القديمة. وكانت تدرّس في هذه المراكزالعلوم والمنطق والمعاني وعلم الكلام وعلم الأفلاك والنجوم وعلم الحساب والجغرافية والتاريخ وغيرها كما تدرّس تفسير القرآن وعلومه والحديث والفقه وأصولهما والتصوف والقصائد العربية وقواعد النحوية والسيرة النبوية وغيرها[٦٣]. ولما ازدادت الطلاب في الدروس المساجدية نقلت بعض منها إلى المباني الخاصة بجوار المساجد تحت مدرّس واحد. وهذه المباني كانت تعرف بالكُتّاب. وكانت هذه المعاهد مركز مهمّ لحفظ القرآن والأذكار والأدعية . وكانت لها مناهج دراسية. وفي وسط القرن العشرين تحولت هذه الكتاتيب إلى مرحلة متطورة التي تساعد الطالب

---

[62] ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة*، ص: ٥٥٠-٥٥١

[63] محمد، وي.، *تذكار لكلية فاروق بمناسبة مهرجانها الفضي*، ص: ١١٢.

على معرفة معاني القرآن الكريم والحديث الشريف. ومع ذلك حرض المسلمين على تدريس اللغة العربية مع تعليم اللغة الأم ('مليالم'). لأن المسلمين متأخرين في تعليم 'مليالم'. ونتيجة لهذا العمل ارتفغت مدارس كثيرة في شتى أنحاء الولاية، وقد استطاع كل شخص من المسلمين في صغرهم أن يدرس التعليم الإبتدائية الدينية من ذكر وأنثى. فهكذا ازدهرت مدارس عديدة في كيرالا التي ليس لها مثيل في أيّ ولاية من ولايات الهند. وحاليا تجري مدارس كثيرة تبلغ عددها نحو عشرة آلاف تحت جمعية العلماء بعموم كيرالا وندوة العلماء والجماعة الإسلامية وجمعية العلماء بكيرالا.

وتوجد في ولاية كيرالا مئات من الكليات العربية التي تحولت من الدروس المساجدية. ويذكر الدكتور ويران محي الدين الفاروفي في كتابه ' الشعر العربي في كيرالا: مبدأه وتطوره' " فحاليا توجد في كيرالا نحو مائة كلية عربية . تقسم هذه الكليات إلى قسمين- كلية أقرتها الجامعات والحكومة وكليات غير مقررة. والمقررة أيضا قسمان قسم تمنح الحكومة رواتب الأساتذة كلها مباشرا وقسم تمنحها الحكومة المساعدة المالية القليلة المقررة. وغير المقررة منسوبة إلى أصحاب جمعيات العلماء أو إلى الجماعة الإسلامية أول إلى سمست كيرالا السنيين أو إلى أصحاب ندوة المجاهدين ومنها مالا ينسب إلى أي حزب من الأحزاب"[٦٤].

---

[64] د. محي الدين القاروفي، ويران.، *الشعر العربي في كيرالا مبداه وتطوره* ، كالكوت: عرب نت، ٢٠٠٣م، ص: ٥٢.

والجدير بالملاحظة، أن الدراسة الدينية والتعليم العربية قد ازدهرت وانتشرت منذ قديم الزمان. وتستمر في العصرالمعاصر أيضا. فحاليا تتوفر ولاية كيرالا بتسهيلات كثيرة لتعليم اللغة العربية وتعلمّها من المدرسة الإبتدائية إلى الجامعات الرسمية.

الباب الثاني

المسلمون في كيرالا

ولاية كيرالا منطقة ساحلية تقع في جنوب الهند، وسكانها يعيشون بالإخاء والمودّة والمساواة والصداقة مع اختلاف الأجناس والأديان ومباينات التقاليد والعادات. وأغلبيتهم الهنادكة ثم المسلمون فالمسيحيون والبوذيون والجينيون وغيرها. وكان أغلب الهندوس يقومون بعاداتهم القديمة ويعتقدون بتقاليدهم الوراثية بقوة.

كانت في كيرالا ثقافات مختلفة، وأهل كيرالا الذين يتكلمون في لغتهم الأمية يعرفون بـ 'ملياليون' (Malayalies) هذه الكلمة مأخوذة من مليالم، ومعناها البقعة العالية أو مكان عال أو أرض بين البحر والجبل ويتكلم الملياليون لغة 'مليالم' بموجب هذا اللفظ. وللغة مليالم صلة وثيقة بلغات ' تامل' و' كرنادكا' و' تلنغو' المشتملة في اللغات الدراويدية(Dravidian Language). وهذه الصلة تشير إلى الملياليين والتاملليين وغيرهم من نوع واحد. وفي عهد النصرانية تفرق الملياليون من تاملليين وتقدمت الثقافة في الملياليين بإستغراق عناصر الآريين من الشرق والغرب. وأثر هذا التأثير في اللغة والدين ، ومع هذا أن 'مابليين' دخلوا في تأثير العرب وثقافتهم.

إن كلمة 'مابلا' يطلق على كل من اليهوديين والنصارى والمسلمين في كيرالا. ويسمّون بـ ' مابلا' النصرانية ومابلا اليهودية ومابلا الإسلامية.

وهذه الكلمة مختلفة الإستعمال لـ 'جونكا' في المسلمين و' نصراني' في النصرانيين من قدم الزمان. ويوجد استعمال كلمة ' مابلا' في مجتمع' ناير' (Nair) [1] أيضا. وهذه الكلمة مأخوذة من اصطلاحات مختلفة وتلقظ 'مابلا'(Mappila) و'مابلا' (Mapilla) و'موبلا' (Mooppilla) على الإطلاق، وهناك آراء كثيرة عن اشتقاق هذه الكلمة. ويوجد استعمال كل هذه الصورفي كيرلا المتوسط، وفي زمننا المعاصر قد انحصراستعمال هذه الكلمة بالمسلمين الملباريين فقط[2].

وفي جانب آخركان المواطنون في كيرالا يستعملون هذه الكلمة لإحترام الزائرين وترحيبهم الذين يقدمون من بلدان أجنبية. وبموجب هذا الإستعمال انبثقت الكلمة من اصطلاحين ماليالميين هما 'مها' ومعناه الأكبر و' بلا' معناه الصبيّ أو الولد . ثم تغيرت استعمال الكلمة وانحصرت لمعناه الثاني فقط و نرى استعمالها بهذا المعنى في ' الزوج' أو' الصهر' ويوجد استعمالها في هذا المعنى في اللغة التاملية أيضا[3].

وفي رأي آخر خرجت هذه الكلمة من 'محفل' المشتق من مصدر 'حفل' العربي ومعناه 'مكان الإجتماع' لأن العرب كانوا يجتمعون في سواحل ملبارلغرض التجارة. وحين ذاك كان العرب لم يعرف اللغة

---

[1] هي طبقة عالية في الهندوس

[2] Miller, E. Roland., *Mappila Muslims of Kerala – A Study in Islamic Trends,* Madras: Orient Longman Ltd, P: 30-36.

[3] Krishnan. K.V., Trans: *Logante Malabar Mannual, Malyalaym,* Calicut: The Mathrubhumi Printing &Publishing Co.Ltd, 1985, P: 204.

المحلية، فمست الحاجة لهم لأن يجتمعوا في مكان واحد وسمّوه بـ 'مهابلا' (Mahapilla) التي تغيرت إلى 'مابلا' .

إنّ مابلا هم المسلمون الذين جاؤوا من بلاد العرب واشتهروا بـ' سيد' أو ' تنغال' من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم، واستوطنوا في سواحل غرب كيرالا القديم، ولذا يدل هذا اللفظ علىالإحترام والتعظيم. وهؤلاء العرب استوطنوا في سواحل شمال كيرالا، وكانوا يجتمعون في مكان واحد للمشاورة والمناقشة عن أغراضهم التجارية من الصادرات والواردات، ثم غلب عليهم استعمال كلمة ' مابلا' في شمال كيرالا وكانوا يعرفون بـ'مابلا ملبار' ليس بإعتبار المنطقة فحسب بل بالإعتباراللغوي والأدبي أيضا. وكثر عدد المسلمين المابليين في ملبار من عدد مابلا النصرانيين في المنطقة الجنوبية.

نرى في التاريخ أن كلمة ' لبا' تستعمل بين مسلمي ' تاميل نادو' بمعنى كلمة 'مابلا' التي تستعمل في كيرالا. 'مابلا' في ملبار هم الفلاحون والزراعون، و' لبا' في تاميل نادو كانوا يعيشون بالتجارة . وبعض المؤرخين ينسبون مسلمي ملبار إلى ' تارتار' الذين جاؤوا من شمالي الهند.

الظروف الإجتماعية والثقافية في كيرالا

إن ثقافة مسلمي كيرالا أوثقافة مابلا خليطة من العناصرالهندية والعربية، قد ساهم مابلا مساهمتهم القيمة لتحسين ثقافة كيرالا وبعلاقتهم

المباشرة العميقة بالعرب. أصبحت الثقافة فيهم صلة وثيقة في لغتهم ودينهم وحياتهم الإجتماعية أيضا. اتبع مسلموا مابلا الثقافة الإسلامية لأنهم أولاد العرب، أثر الثقافة العربية في مسلمي مابلا تأثيرا كبيرا في الإجتماع والمصاحبة بينهم، وكانوا يجتمعون حول المائدة جميعا للأكل والشرب، ونرى هذا التوافق في صورة اللباس أيضا. وتأثر هذا في استعمال العطر والمسواك بالأراك وقلم الظفر والغسل وغيرها ، ويتبعون الأحكام الشريعة أيضا. ومع ذلك يتبع أكثرمن المسلمين الجدد عاداتهم وتقاليدهم وأسلوبهم وخرافاتهم. ونرى النظام الأمومي[٤](Matriarchy) من مابلا كما نرى في ميراث المعتنقين الهندوس ويذكرالشيخ زين الدين المخدوم في كتابه عن النظام الأمومي في الهندوس " أن الإرث في طوائف النيار ومن قاربهم لإخوتهم من الأم وأولاد أخواتهم أو خالاتهم أو قرابتهم من جهة الأم ، لا للأولاد مالا وملكا، وقد أبخرهذا أعني عدم توريث الأولاد إلى أكثر مسلمي كننور(Kannur) وما حواليها تبعا لهم مع أن فيهم من يقرأ القرآن ويحفظه ويحسن قراأته ويتعلم العلم ويشتغل بالعبادات ".[٥]

ولما نبحث عن مجتمع المسلمين بكيرالا نجد أن أكثرهم من المواطنين، ولذلك اختلطت عادات المجتمع العامة في مسلمي مابلا ، وفي القرن السادس عشرالميلادي انتشرفي كيرالا حركة ' الطريقة' و'

---

[٤] نظام اجتماعي يرجع النسب والوراثة إلى الأم.

[٥] الفناني المليباري، ابن محمد الغزالي، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة 'الهدي'، ط.١.،١٩٩٦م ، ص: ٣١

الصوفية، بأنواعها المتعددة بصورة شاملة وبنت فيها مساجد كثيرة لنشر نظائرالطريقة و طرق الصوفية ، جاء الصوفيون من العرب والفرس وخراسان إلى كيرالا وأسسوا ونشروا فيها طريقتهم مع الدعوة الإسلامية[٦].

ولما تعرضت النساء والأولاد الإضطهاد والظلمة البرتغاليين ولمّا واجه المسلمون أحوالا صعبة من عندهم ومع ذلك لم ينالوا المساعدة من السلطات المحلية وملوكها لحمايتهم ، ساعد أهل الصوفية والطريقة الناس ضد المستعمرين في رئاسة كنجالي مركار الذي كان متصلا بطريقة صوفية . واستولى هؤلاء الصوفية وعلماء الدين القيادة لتنظيم الناس في القرى ضد سيطرة ثقافة البريطانيين ، وأخذوا التسامح والتعايش بين المسلمين والهندوس وعاشوا عيشة طيبة. وقبل المجتمع الأسفل في كيرالا اقبالا سريعا بسبب المبادئ الإسلامية مثل المساواة والإخاء.

وأشار الرحال المشهور ابن بطوطة في القرن الرابع عشر عن انتشار الإسلام في كيرالا وعن التسامح الديني القائم فيها منذ قرون بين الهندوس والمسلمين. وبقي هذا التسامح بدون تغيير كبير . وتزايد هذا التسامح الديني بمهارة أعمال الصوفية وعلماء الدين الإسلام فيها. وانجذب الناس من مجتمع الهندوس إلى الإسلام أفواجا بسبب النظام الطبقي الموجود فيهم خصوصا اولئك الذين كانوا من الطبقة السفلى من المجتمع[٧].

---

[6] Ahammad Moulavi, C.N., & K.K.Muhammed Abdul Kareem, *Mahathaya Mappila Sahithaya Paramparyam*, Calicut: 1978, P: 152.

[7] Kurupu, K.K.N., *Mappila Paramparyam*, Calicut: Irshad Publications, 1998, P: 55 .

عاداتهم وتقاليدهم:- نرى في حياة المابليين الملباريين مباينة العادات واختلاف التقاليد، وعرف ميراث الأبوة والأمومة باسم' النظام الأمومي ' غالبا، ويتقلد جماهيرالمسلمين هذا النظام في شمال كيرالا في كالكوت، وفنان، وبربنغادي ، وتلاشيري، وكننور، وجركل، وكوتيم، وكرمبرناد، وبعض أنحاء من جنوب كاسركود وغيرها.

وفي رأي آخر اتخذ مابليون الشمالي في ملبار النظام الأمومي الذي كان رائجا بين مجتمع النيار بسبب التعلق الزواجي قبل اعتناقهم الإسلام مع الديانات الأخرى، وفي رأي ' وليام لوكن'(W.Logan) " غيّر المحمديون الذين يسكنون في ملبارالجنوبي قانون الميراث الذي انتشر بينهم آنفا وابتدعوا قانون الأمومي، تبنى هذا النظام الأمومي كشتريار (Kshathriya) ونيار(Nayars) وأصحاب المعابدين(Ambalavasies) وبالاين (Palayans) ويلان (Vellans) والقبائل الجبلية مثل جيتي الوايناديين (Wayanadan Chetties) وكروشيان (Kurchiyas) وكورمبالان (Kurumpalans) وكدر(Kadar) وتجناد موبن (Thachnad Moopans) وكندووادين (Kunduvadiyans)"[٨].

وقد يوجد النظام الأمومي بين بعض المابليين في ملبار الشمالي وبين مسلمي جزر 'ميني كوي' و'لكاديو' و'أمندوي'، ويتبع هذا النظام أيضا في

---

[8] Logan, William, Trans: Krishna, T.V., *Lagante Malabar Manual*, Calicut: The Mathrubhumi Printing & Publishing Company Ltd, 2000, P: 66-67.

'منغلور' ومناطق المجاورات من كنرا الشمالي وهناك جزء من المسلمين يدعون بمابليين. إن في هذه المناطق يقسم قائد الأسرة الأموال بموجب الشريعة على عكس قانون الأمومي المذكور.

الأوضاع الدينية في بيوت مابلا كانت شديدة بتقاليدهم يدعون الله وينشدون المواليد بمناسبات شتى خصوصا بمناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الأيام كان يتلو بعض من المابليين مواليد متنوعة التي تتضمن مدح النبي صلى الله عليه وسلم وثنائه. وكذلك يقام العروس السنوي وتؤدى النذور في مقابر من ماتوا منهم من العلماء السالفين يحضرالناس من كل الأديان والفرق ليندّر مافي وسعهم لينالوا الخير بوساطة الصلحاء ووسيلة الأولياء تذكارا لأفعالهم الخيرية وللتوسّل والإستغاثة بفضائل الكرام المدفونين في تلك المقابر راجين في حصول حاجاتهم ورغباتهم. وتوجد مراكز كثيرة في ملبار يعقد فيها مجالس وعروس خاصة مثل ' نذر ملابرم' لتذكار الشهداء و' نذر كوندوتي' وغيرذلك. ويبدأ العروس أوالنذر برفع العلم في جوار المقبرة مثل ما نري في جنغناشيري(Changanassery) وارومالي(Erumely) وأينات(Enath) ومسجد بيما(Bima Mosque) وبتامبي(Pattambi) وترتال(Therthal) وبرمبدب(Perumpadappu) ومسجد تروت(Theruvath Mosque) وبرونتانم(Perunthanam)، ويوزّع الطعام هناك للفقراء والمساكين، ويساهم الناس كثير من أموالهم ونقودهم هبة لمثل هذه العادات. وكذلك

يعتبرالمابليون الأولياء والسادات من أهل البيت بغاية الإحترام والتكريم ويقرّر فيهم الكرامة ويشبهها بمعجزة الأنبياء ويوضحون أهمية هذه الموضوعة في الأبيات مثل ' محي الدين مالا'. وهاهنا قصائد كثيرة على مختلف الصور في مدح الأولياء والسادات مثل محي الدين مالا، ومدح رفاعي، ونفيسة مالا، ومنفرم مالا، وجفري مالا، وملابرم مالا، ومنغاكضم مالا وغيرها. واشتهر كثير من هؤلاء السادات والصّلحاء بين جماهير المسلمين في كيرالا. ونرى في ولاية كيرالا عادات عديدة باسم الرواتب والقصيدة القطبية، و يتلو بعض من المابليين الرواتب والقطبية في المساجد والبيوت في وقت معيّن خصوصا في الليالي. والقصيدة القطبية هي قصيدة مدح الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني. ويعتقد فريق من المابليين خصوصيتها وبركاتها للحصول على حاجاتهم ولشفاء أمراضهم بفضل الله تعالى بواسطة الشيوخ المذكور. توجد في كيرالا قصائدا مختلفة أيضا بين جمهورمسلمي مابلا في ملبار ونواحيها علاوة لهذه القصيدة بالشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني، منها قصيدة ' نفيسة مالا' المشهورة، ويرتّل هذه القصيدة لحصول الأمورالمشقة كالولادة وغيرها، وحين قرب وقت الولادة ترتّل أقارب مرأة الحاملة وجاراتها بجوارها هذه القصيدة ويعتقدن أنّ أمر الولادة ستتمّ بلا مشقة ولا ضرر بكرامتها وجاهها.

وقد اشتهر إحترام العلماء تعظيم الأولياء في جماهير الأمّة الإسلامية ، وهو أمر مهمّ في الحياة الدينية حسب اعتقاد المسلمين المابليين في كيرالا في جنوب الهند

وزيارة القبور أيضا شائعة بين مسلمي مابلا، ولذلك بنوا مقابر العلماء والصّلحاء والأولياء والشّيوخ، تقع مقابرتهم في أماكن مختلفة ، فانتشرفي جميع أنحاء كيرالا ، خصوصا في مناطق ملبار، ويزور الرّجال والنّساء والأولاد جميعا تلك المقابر لتذكار الموت وأداء الدّعاء بجوارهذه المقابر ونيل مراداتهم وآمالهم بحقّ هؤلاء المحبّين إلى الله . ومن المقابر المشهورة في ملبارمقبرة منفرم(Mampuram) و فنّاني(Ponnani) وبوتان باضي(Puthanpalli) ومدوور(Madavoor) ومنتّالا(Manathala) وكودنغلور(Kodungallure) وغيرها.

والعروس والنذر رائج بين مسلمي مابلا في شمال كيرالا أيضا. ولا يوجد وثائق ومستندات عن أحوالهم التاريخية في الزمن القديم إلا قليلا لتعريف تاريخ العروس والنذر. والنّذر في ' بوكوتور' و' كوندوتي' و' منفرم' و' كالكوت' نماذج للعروس والنّذور المذكورة، ولكنّها تختلف كثيرا عن بعض كما أنها تتفق كثيرا . يعقد المسلمون هذا النذر والعروس لتذكار الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله والأمة والوطن. ومنها النّذر في بوكوتور لتذكارمآت من الشهداء الّذين شاركوا في ثورة ١٩٢١-٢٢م ضد البريطانيين. يأتي كثير من الناس إلى المقابر بجماعة عظيمة في

مظاهرات كبرى ، وتظهر في هذه المظاهرات فنون المابليين مثل ' كولكض'[9] و' دف' و' طبل' وغيرها، ويكون فيهم الرقص بمديح الأشخاص الكرام بأغنية جميلة وهوعادة بالإخلاص والتقوى وحصيلة لإحترام وتعظيم للعلماء والسادات والأولياء. ولكن ليس هناك دلائل تُذكر.

وفي بعض النذور من أنحاء ملبار نرى صورا مختلفة، وفي بعض النّواحي تشبّه بعادات الهندوس من المظاهر الجميلة والجذّابة بإتيان الأفيال مع تحسين صورته وتجميله الفنّية بألوان جذّابة وغيرها.

وقد تدخّل كثير من العادات والإعتقادات إلى المجتمع الإسلامي من الهندوس وصارت ثقافتهم مزيجة بثقافتهم. ومنها النظام الطبقي السائد الذي أثرعلىالأمم الدينية مثل المسلمين والنصارى والفرس. ويوضح بعض الدّراسات التي قام بها الباحثون عن عادات المسلمين لاسيما فيما يتعلق بالزواج والولادة ، بأنّ المسلمين التقطوا معظم عاداتهم وطرقهم التقليدية من المواطنينن المجاورين أكثر مما تلقوها من التعليمات الإسلامية، وفي أثناء الامتزاج والتبادل فيما بينهم تأثركلا المجتمعين بعضهم من ببعض الثقافة والإعتقادات، وأثرت في نفوسم فتقلدوا بعضهم بعضا. وهذه الظاهرة هي التي أدّت إلى التعايش السليم والتعاون بين المسلمين وبين الهندوس في سواحل كيرالا، أنّ هذا التعايش السليم أجلب التسامح والإئتلاف بينهم في شكل سهل، ومهّد أيضا انتشار الإسلام

---

[9] هو رقص مخصوص بالقضيب تضارب مع الأغنية والخطوة الخاصة . يكون فيه ثمانية أعضاء

المتناسق في أسلوب جيّد . وهكذا نجح هذا التفاعل في تكوين ثقافة المابليين وعاداتهم وأساليبهم، وقدّم الإسلام تغييرات كثيرة في حياة سكان كيرالا الإجتماعية والثقافية والتجارية وخاصة بين أهل ملبار. إنّ تجارالعرب لم يأتوا بأزواجهم إلى ملبار بل تزوّجوا من النساء الهندوس المحلّيات بعدما اعتنقن الإسلام ، وكثير منهنّ حفظن على أخلاقهنّ وثقافتهنّ حتى بعد اسلامهنّ.

علاقة العرب مع كيرالا

وصل وفود اليهود والنصارى إلى كيرالا أوّلا مع أسرتهم وعاشت في' ترفاندرم' وسواحل ' كودنغلور'[10] وغيرهما وسيطرت عليها . وقدّم لهم المواطنون جميع التسهيلات من السكن والحقول. ووصل العرب أيضا إلى كيرالا منذ قديم الزمان لأنّها بلدة جميلة وجذّابة اجتذب الأجنبيّين من القديم والحديث أيضا، وتحصل كيرالا الفلفل أكثر من سائرالبلدان ولذلك نرى في كتب الأدب العربي القديم صفات جمال الفلفل وفائدته وتسميته باسم ' دواء الهند' في كتب الطب في اليونان والإغريق[11]. وسمّي العرب كيرالا ' بلاد الفلفل' ، وكذلك النصرانيون كانوا يهدون الفلفل هدية للرواد النصرانيين في ميلاد المسيح، وفي قديم الزمان كانوا يكتبون في وثائق اليمين أن يعطوا الفلفل حين انهزم الجيش في القتال. ومع ذلك كان كيرالا مركزا

---

[10] Kodungallure

[11] Pilla, Kunhan, Ilam Kulam., *Annathe Padanangal*, P: 42 and Ahammad Moulavi, C.N., & K.K.Muhammed Abdul Kareem, *Mahathaya Mappila Sahithaya Paramparyam*, Calicut: 1978,P;6

لإنتاج العاج والصندل وتمرالهند وغيره من المنتوجات، والبلدان الأجانب الهامّة أيضا كانت تتعلق بكيرالا منذ زمن قديم، وأمامنا برهان كافية في الأدب العرب القديم لعلاقة العرب بكيرلا، وأمّا الشاعر امرؤ القيس ، الفحل من الشعراء الجاهليين، يشبه بعر الغنم بالفلفل الذي سقط في الأرض[١٢].

و لما نزل العرب في كيرالا كان ' مسرس'(Musris)[١٣] ساحلا مهمّا للتجارة ومكان المجالسة للشرق والغرب. وكان هدف قدوم العرب والصينيين والفينيقيين والرومانيين والفرس والأفريقيين بيع بضائعهم وجلب الربح من الخزائن الهندية . وفي ذلك الوقت كان احتكارالتجارة في المحيط الهندي في يد العرب والفرس، وكان أرض كيرالا خيرمكان لنموهم التجارية وارتقائها. ووصلوا فيها إلى قمّة التجارة في القرن التاسع الميلادي، وساعدهم هذا لتقوية تجاراتهم في السوق العالمية شرقا وغربا[١٤].

وهناك اتصالات دائمة وعلاقات متميزة للمسمين في كيرالا بالعرب منذ قدم الزمان، واعتمد العرب في تلك الزمان في اقتصاد بلادهم على التجارة واستيراد البضائع المختلفة من كيرالا. وكانت كيرالا مقصدا هامّا

12

13 الآن يعرف هذا المكان باسم'كودنغلور'

14 Miller, E. Roland., *Mappila Muslims of Kerala - A Study in Islamic Trends*, Madras: Orient Longman, 1976.

لتجار العرب فارتفعوا وتطوروا عبر الزمان. وقد أثبت العرب علاقة متميزة بأهل كيرالا بواسطة التجارة، وبعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وصلت الدّعوة الإسلامية والتعليم الإسلامي في سواحل كيرالا في زمن النبي (ص) بنفسه وكانت هذه النشاطات غيرمنظمة، لم يكن لهم مؤسسات تعليمية وسلطنة محلية في أول الأمر. ويقول الشيخ زين الدين المخدوم الملباري عن دخول الإسلام إلى كيرالا " ومما لا يخفى أنّ الله سبحانه وتعالى أدخل دين الإسلام في أكثر الأراضي العامرة، ففي أكثر الأقطار بالسيف والإرغام، وفي بعضها بالدعاء إلى الإسلام وقد أكرم الله أهل ملبار من الهند بقبول دين الإسلام طائعين راغبين"[١٥].

وكانت علاقة العرب ببلاد ملبار وثيقة مستمرة قديمة بأصحاب سائرالديانات والحضارات. وكان العرب والغربيون يتوافدون إلى ملبار قبل قرون على السواء ، ولكن كان سكان فلسطين يربطون صلتهم بملبار في عهد داود وسليمان عليهما السلام . إن صلة العرب ببلاد ملبار كانت وثيقة قديمة واشتدّت وتضاعفت بعد دخول الإسلام واستمرّت مزدهرة طيّبة حتى حملة البرتغاليين وغلبهم لهذا البلاد. الغربيون كانوا لا يعرفون عن منتوجات كيرالا من قبل ولما عرفوها من تجار العرب بدأوا علاقاتهم بكيرالا كما بدأوا محاولاتهم للإستعمار عليها.

---

[15] الفناني المليباري، ابن محمد الغزالي، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة 'الهدي'، ط.١.،١٩٩٦م ، ص: ١٤.

الإسلام في كيرالا

ونرى في التاريخ قدوم العرب إلى سواحل ملبار قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. وكان لهم مراكز تجارية عديدة في ملبار لشراء الفلفل والقرنفل والزنجبيل والهال وغيرها من التوابل الطبيعة من الانتاجات الزراعية. ولمّا رحل وفد من العرب إلى سيلان[16] لزيارة أثر قدم آدم عليه السلام نزل خلاله في 'كودنغلور' للإستراحة، وصل إلى ملك كودنغلور[17] خبرقدومهم فدعاهم إليه وتحادث معهم، وأخبروه ضمن محادثاتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم والإسلام ومعجزة انشقاق القمر رأى الملك قبل أيام، فرغب الملك إلى أن يتشرف برؤية النبي صلى الله عليه وسلم[18]. وذات يوم لم يستطع الملك أن ينام وتردّد في شرفة البيت لمّا رأى القمر منشقا وتحرك جزء كل واحد منهما إلى الغرب والشرق ثمّ اجتماعهما. فتعجب الملك جدا ودهش شديدا ، ولكن لم ينل تحقيقها ولم يشفه في هذا السبب أحد من الكهان وغيرهم . وحينئذ تشاورالملك هذا الخبرمع العرب الذين كانوا في كيرالا لغرض التجارة . فقالوا: إنّ رجلا من العرب قد ادّعى النبوة وأرى الناس شقّ القمر معجزة له من رب العالمين، واستفسر الملك موعد تلك الحادثة. ولمّا تحقق له أن ذلك الأمرالذي رأى كان هو نفسه الذي قد وقع في العرب فاطمأنّ الملك وتبيّن له حقيقة الأمر فدفعه

---

[16] يعرف سيلان بـ'شريلنكا' (Sri Lanka) الآن

[17] وحكم كودنغلور في ذلك الوقت واشتهر باسم 'جيرمان برمال'

[18] الفناني المليباري، ابن محمد الغزالي، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة 'الهدي'، ط.١.،١٩٩٦م .

الشوق الشديد إلى أن يركب إلىالحجاز ويتشرف برؤية النبي (ص) الأمين. والتمس الملك من ذلك الوفد أن يوافوه عند رجوعهم من سيلان إلى بلادهم. ولما أتوه في موعدهم أراد الملك أن يذهب معهم إلى جزيرة العرب بعد اعطاء سلطان بلده وتحديد حدودها لبعض من أعضاء أسرته. وارتحل معهم ولقي النبي الأمين واعتنق الإسلام وأقام هناك أياما، وبعد ذلك أراد أن يعود إلى وطنه مع جماعة من المسلمين وفيهم بعض حاشيته ولمّا وصلوا في بلد' شهر المحلى' (Shahr Muhalla) أصابه المرض ومات ودفن هناك، وكان قد أوصى لحاشيته قبل وفاته لمواصلة سيرهم إلى ملبار ولنشرالإسلام وبناء المسجد فيها. وكان قد أسرّ أن لا يعلموا أهله بإسلامه وموته، وقيل أنه كان قد أوصى أن يعلم ذرّيته وورثته بقبوله الإسلام وموته. وليس هنا أيّ اختلاف في أنه قد كتب إلى الحاكم أن يكرم هؤلاء المسلمين ويساعدهم في دعوة الإسلام وبناء المساجد ، فلما أتوا إلى الحاكم وأعطوه رسالته فابتهج غاية الإبتهاج وقدّم إليهم جميع التسهيلات وأكرمهم غاية الإكرام . ثمّ وصلت جماعة على أثرهم لدعوة الإسلام وبناء المسجد في ملبار. ودخل وفد من المسلمين إلى ساحل ملبار لتبليغ دين الإسلام وسكنوا هناك ولما عرف الملباريون عن الإسلام وكراماتهم اعتنقوه وهكذا اشتهر الإسلام في ملباراشتهارا كبيرا وازداد عدد المسلمون ازديادا ملموسا.

يذكر الشيخ زين الدين المخدوم بحقيقة الحال " وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب وزوجته قمريّة وغيرهم مع الأولاد والاتباع إلى ملبار في مركب فوصلوا إلى كدنغلور ونزلوا فيها، وأعطوا ورقة الملك المتوفى إلى الملك الذي فيها..."[١٩]

وسكن مالك بن دينار في كودنغلور وعيّن ابن أخاه مالك بن حبيب بن مالك في أمكنة أخرى في ملبار لبناء المساجد والدعوة الإسلامية ، وبنوا المساجد في ' كولم'(kollam) و'هيلي ماراوي' (Ezhimala) و' باكنور' (Barkoor) و 'منجلور' (Mangalore) و ' كانجركوت' (Kasarcode). وفي أثناء ذلك زار مالك بن دينار في كل مسجد من المساجد التي بناها ورجع إلى كودنغلور طربا واستبشارا وأدّى الشكر الجزيل من عميق قلبه لله تعالى لنشر دين الإسلام في البلاد المعمورة بالكافرين. وهكذا استقرّ المسلمون في كيرالا ولكن سنتها غير واضحة.

كان البحر عاملا مستمرا في تاريخ كيرالا، وقد جاء الأديان مثل اليهودية والنصرانية والإسلام من عبر البحر[٢٠]. وكانت بيئة شاطئ ملبار ملائمة للعرب لإتخاذها ميناء مهمّا في كيرالا. وكان ساحل ملبار مصدر للفلفل المسمى ' الذهب الأسود' والهال والزنجبيل وغيرها من الإنتاجات القيمة. وقد جاء بعض العرب من الحجاز وعمان وبحرين وبعضهم من

---

[19] الفناني المليباري، ابن محمد الغزالي، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة 'الهدي'، ط.١، ١٩٩٦م ، ص:٢٨.

[20] Sreedhara Menon , *survey*, P:5f.

اليمن وحضرموت استقبل الهندوس المحليون العربَ استقبالا تجاريا، وصارت العلاقات شديدة بين العرب وأهل كيرالا في وقت النبي صلى الله عليه وسلم.[٢١] وبدأوا علاقات زواجية مع سكان كيرالا. وكان ذلك سببا لتقوية روابطهم بكيرالا واشتدادها. وزاد عددهم في المناطق الساحلية خاصة، وسكنوا مع الهندوس بالتعاون والتعايش وتكاثرعدد المسلمين باعتناقهم الإسلام تدريجيا. وصارالزواج المتبادل بينهم وبين السكان المحليين أيضا سببا لتكاثرعدد المسلمين ، وتعائش الهندوس والمسلمون تعائشا سليما خلال ثمانية قرون. وصاحب الملوك الهندوس مع المسلمين برفق وشفقة ولم يمنعوا أحدا من قبول الإسلام ولم يظلموا من الذين دخلوا في دين الله أفواجا. ويقول الشيخ زين الدين المخدوم " وقد أكرم الله أهل ملبار من الهند بقبول دين الإسلام طائعين راغبين لا راهبين ولا محزنين"[٢٢].

وبعد مجيئ مالك بن دينار إلى كيرالا بدأت النشاطات الدينية في ملبار، هيّأ الملك في كودنغلور كل ما يحتاجون إليه من المساكن والأماكن. وزوّج السكان لهم بناتهم وأخواتهم، وبنى مالك بن دينارالمسجد المشهورفي 'كودنغلور' (Kodungallure) هوأول مسجد في ملبار. وكذلك بنى المساجد في سواحل البحار من كيرالا وكرناتكا وتامل نادو حتى بلغ عددها ثمانية عشر مسجدا. فازدهرالإسلام، ودخل الهندوس من الطبقة

---

[21] Haurani, *Arab Seafaring*. P: 61.

[22] الفناني المليباري، ابن محمد الغزالي، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة 'الهدي'، ط.١، ١٩٩٦م ، ص:١٤.

السفلى في الإسلام يوما فيوما حيث أنهم كانوا تحت طبقة اجتماعية وراثية خاصة. وإذااعتنق من في الطبقة السفلى يحصل الإحترام والتعظيم والمكانة السوائية عند المسلمين بدون أيّ فرق.

اشتغل العرب وأجيالهم بالدعوة الإسلامية على صور مختلفة في شمال الهند. ولم يصل العرب إلى كيرالا في وقت واحد بل قد وصلوا في وفود مختلفة جيلا بعد جيل ، وقد اعتنق السكان المحليون الإسلام على أيدي المسلمين الموجودين في مناطقهم ليلاحظ في ممارساتهم الدينية والإجتماعية بعض الإعتقادات والأعمال، لها مصدر في اعتقاداتهم وعاداتهم المرونة.

ومع ذلك كان المسلمون يعيشون بتعاون الملوك الهندوس وحكامهم حيث سمحوا للمسلمين حرية العبادة والدعوة. ولما جاء وفد من العرب إلى ملبار بعد وفاة الملك جيرمان برمال استقبلهم ملك كودنغلور استقبالا حسنا كما نشاهد هذه الحادثة في أوراق ' تحفة المجاهدين' للشيخ زين الدين المخدوم الفناني، " ونزلوا في كدنغلور وأعطوا ورقة الملك المتوفى إلى الملك الذي فيها وأخفوا خبرموته، فلمّا قرأها وعلم ما فيها أعطاهم الأراضي والبساتين على مقتضي ما كتبه ، فأقاموا فيها وعمروا فيها مسجدا"[٢٣].

---

[23] الفناني المليباري، ابن محمد الغزالي، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة 'الهدي'، ط.١.،١٩٩٦م ، ص:٣٣.

الأحوال الإجتماعية في كيرالا كانت لائقة لإنتشار الإسلام فحصل الإسلام ايجابا وقبولا في المجتمع. فاعتنق كثير من الهندوس الإسلام وخاصة من الطبقات السفلى، وكانوا مضطرين لأعمال فضيحة ومضطهدين في شكل خسيس في أيد الطبقات العليا. وانقسمت الهندوس في ذلك العهد إلى طبقات كثيرة ، منها طبقات عليا وسفلى وما بينهما. وقد عان أهل الطبقة السفلى كثيرا من الأذى والمشقات من الطبقات العليا نتيجة للنظام الطائفي وما كان لهم حقّ تناول الطعام قبل الغسل، فلم يصلوا إلى المراتب العالية في المجتمع وكذلك لا يتناول أعضاء المراتب العليا الطعام مع أعضاء الطبقات السفلى لأنّ الرّاعي كان يقبضهم ويبيعهم لمن هو أحقر منهم لهذا الذنب ولو كانوا صبيانا أو نسوة، وكانوا يتمنون مخرجا من هذا المأزق للخلوص من هذه الإضطهادات فالتجأوا إلى الإسلام كما اعتنق بعضهم اليهودية أوالنصرانية.

وقد دخل الإسلام إلى كيرالا مثل هذه الأحوال الدّنيئة التي استمرت في ملبارسوى أيّ مساعدة سياسية، فازدهرالإسلام وأثر في قلوب المتألمين المضطهدين. وتقاريرالرحالين الذين زاروا ساحل ملبار تشير إلى الأوضاع التي أدت إلى زيادة المساجد في المدن الساحلية هناك. وكان تاريخ مابلا من القرن الحادي عشر إلى السادس عشرالميلادي مربوطا بالموّدة والإئتلاف بينهم وبين سائر سكان ملبار. كان ملبار حينذاك تحت سيطرة الملوك الهندوس.

وهذا الإئتلاف والمحبة قد سببا للإزدهارالإقتصادي والإجتماعي للطرفين، ومع ذلك ارتقت التجارة بسبب السياسة الحكيمة التي اتخذها السامري[٢٤] ، فأصبحت كالكوت مكانا مشهورا لتبادل الأمتعة والبضائع للتجار في داخل البلاد وخارجها. وكانت تلك العلاقة سببا لشهرة سامري وسمعته لا في كالكوت فحسب بل في البلدان الأخرى أيضا، ولذلك لم يمنع سامري اعتناق الإسلام وبذل للمابليين ما أمكن في وسعه من العطايا والتبرعات. أمرسامري بأن يعتنق الإسلام واحد أوأكثر من كل أسرة من أسر صيادي السمك[٢٥]. وكان جميع صيادي الأسماك أوجلهم من المسلمين أمروا كثيرا من الهندوس على إعتناق الإسلام. يقرر' غاسبر كوريا البرتغالي' (Portuguese Gasper Correa) في القرن السادس عشر " لم يأت أحد من النيار إلى ' مور'[٢٦] ، بل الأسافل فقط، وباعتناقهم الإسلام استطاعوا أن يسير حسب حاجاتهم وأكلوا ما يحبّونه ، وباسلامهم ينالون على الملابس الخاصة لهم"[٢٧]

وكان سامري يوافق على حق الدخول إلى الإسلام لمن في أمته أيضا ولو كان من أسرته. ولم يمنع لهم شيئا مما يملكونه قبل إسلامهم. وحافظ الهندوس الذين كانوا يبقون على دينهم السابق على عاداتهم التقليدية ولم

---

[24] السامري أو السامري أو الزامرين، هذا علم قد لقب جميع من تولى حكم كالكوت في العصور الوسطى. وهؤلاء الحكام كانوا من الهندوس دينا وعادة

[25] Miller, E. Roland., *Mappila Muslims of Kerala - A Study in Islamic Trends*, Madras: Orient Longman, 1976, P: 54-55.

[26] كانت تستعمل هذه الكلمة(مور) لمسلمي مابلا

[27] Correa, G., *The Three Voyages of Vasco de Gama*, trans: Henry Stanley *'Lendas da India'* London: Hakluyt Society , 1849, P: 155f, *Mappila Muslims of Kerala*, P:56.

يظلموا المسلمين ولم يمنعوهم من التجاراة كما لم يزعجوهم عنها ولم يحقرون شعائرهم الدينية بل عاشوا مع الأخوة والمساواة وتعوّدوا على الصداقة والمودة، لأن سيطرة التجارة كلها كانت عند المسلمين. فاعتبروهم بالإحترام والتعظيم لأن المسلمين عملوا للتنمية ملبار وتطورها، عاش المسلمون في عزة وكرم حيث تقلدهم أصحاب الديانات الأخرى وكلما ظهر لهم المشاكل اشتكوا عليها إلى الملك فحمكم لهم بالعدل والإحسان وحصلوا على حقوقهم. وقد أعانهم الملك أينما سكنوا وساعدهم في بناء المساجدهناك، فعاشوا بسلام وارتياح.

والجدير بالذكر، أنه لم يظلم أحد منهم بسبب اعتناق الإسلام وكذلك ولم يتعرض لشيئ من الأذى بل أحترم كسائرالمسلمين ولو كان من الطبقات السفلى من قبل. وكذلك سمح سامري لزعيم المسلمين ان يرتحل معه لأنّ المسلمين هم الذين سببوا لإشتهاره في العالم، ونال مسلموا ملبارالدرجات العالية تحت سلطنة سامري وحكومته. وكان بين سامري والمسلمين علاقة مميزة ومتينة. وكان المسلمون لايتدخلون في شؤون الآخرين ولذلك أحب الملوك المسلمين حبّا جمّا، و الملوك أيضا حصلوا على الأسلحة الجيدة والحُصُن الجميلة بوساطة المسلمين. وكذلك اشتدّت العلاقة بينهم مع تطورالبلاد وحياة السليمة فيها، فبينما كان الأمر كذلك وصل واسكودي غاما(Vasco de Gama) البرتغالي في كاباد[٢٨]، كالكوت،

---

[28] هو مكان بمسافة عشرة ميلا من مدينة كالكوت.

سنة ١٤٩٨م (٩٠٤هـ) ولقي سامري واقترح غاما تحسين التجارة وتطويرها، كانت كالكوت عاصمة سامري وأكبرمركزتجاري في البلاد، وأتت السفن العديدة من الدول العربية والفارس والصين ومصر إلى كالكوت للشّحن من التوابل والفلفل والملابس، فطلب واسكودي غاما المساعدة والتعاون من سامري إنه كان يستهدف بهذا انهاء احتكارالعرب في التجارة البحرية في الهند. ولما رفض سامري طلبهم ذهب إلى كوشن وأسّس مصنعا هناك بإذن ملكها وبنى قلعة في كنّور وبدأ إزعاج العرب بالغارات المتكررة وحرّق السفن العديدة التي جائت إلى كالكوت.

مقاومة مابلا ضد البرتغاليين

بدأ البرتغاليون الظلمة الوحشية على سامري ورجالهم بكالكوت ، وعزم التجّار من القاهرة على إلغاء تجارتهم مع سامري، إن حضور البرتغاليين في ملبار أصبح خطرا عظيما للتجارة المسلمين وأمنهم. وكانت عداوتهم على المسلمين واعتقاداتهم فقط لا على النيار والكافرين، واحتكر البرتغاليون على التجارة ولم يأذنوا التجارالمسلمين وغيرهم من المواطنين للتجارة في الهند، وأصبحت هذه الحيلة والخدعة سببا للمقاومة الشديدة من المسلمين الملباريين . وعندئذ استئنف البرتغاليون أساليب فاحشة وحاولوا لقتل سامري بمساعدة ملك كوشن، فأراد مسلموا ملبار لحرب تحت رئاسة سامري وابتدع تلك الحرب الشديدة فيما بينهم.

وهاجم البرتغاليون وضعّفوا قوّة المسلمين وبدؤوا إظلامهم ومنعوا سفنهم عن رحلتها عبرالبحور وحرّقوا السفن العديدة للمسلمين في بحر كالكوت وقبضوا على سفن أخرى لهم، وصادروا ممتلكاتهم بعد غصبها، ويشير الشيخ زين الدين المخدوم إلى هذه الحوادث " فظلموهم وأفسدوا فيهم وفعلوا فعائل قبيحة شنيعة لا تحصى من ضربهم"[٢٩]. وأدّت هذه الأوضاع إلى ركود تجارتهم. فظن البرتغاليون أنّهم لا يستطيعون أن يقوي الإستعمار التجاري وتطويره إلا تدميرالصداقة بين المسلمين والحكّام المحلّيين. وكان هدفهم أن يستأصلوا علاقة المسلمين التجارية وأظهر البرتغاليون رغبتهم الاستعمارية وإراداتهم الدنيئة فيها في صور مختلفة وأساليب متنوّعة. وكانت الحوادث الهجومية بين الطرفين عادية في كالكوت. وكانت مقاومة المسلمين ضد البرتغاليين برئاسة كنجالي مركار(Kunjali Marakkar)[٣٠]. قام كنجال مركار بمقاومتهم وأفسد البرتغاليون عددا من سفن المسلمين، وقدّم كنجالي نفسه لمساعدة سامري وعيّنه سامري رئيسا للعساكر نظّم كنجالي البحاريين المابليين وجمعهم ضدّ البرتغاليين بمساعدة سامري ، لكن خسروا ولم يمكن لهم لإتمام

---

[29] الفناني المليباري، ابن محمد الغزالي، الشيخ زين الدين.، *تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين*، كالكوت: مكتبة 'الهدي'، ط.١، ١٩٩٦م ، ص: ٣٥

[30] كنجالي هو اسم اسرة امتازت في التاريخ شجاعتها ومهارتها في الغزو البحري، وقد أعطى السامري أعضاء اسرة المركار قوادا واحدا بعد واحد لجيش البحري في الحرب مع البرتغاليين. فقاموا بقواة شديدة عليهم .

المقاومة ضدّ أسلحة البرتغاليين وأجهزتهم الوافرة، وكان كنجالي مركار أوّل ضحية لظلمة البرتغاليين[٣١].

وقد دافع المسلمون البرتغاليين مدافعة جيدة ولكن بسبب توافر أسلحتهم وجيوشهم فشلت محاولاتهم قتل البرتغاليون المسلمين واستمروا بها إلى سنوات عديدة فضاعت السلامة في كل أنحاء هذه المنطقة الساحلية، ولما واجه المسلمون الظلم والعنف من البرتغاليين مالوا من التجارة إلى الزراعة، ورجع كثير من التجار العرب إلى بلادهم.

وهذه العلاقة بين سامري وأسرة مركار أحدثت المشاكل والخزايا غير محدودة للبرتغاليين وفهموا أنه لاملجأ ولا منجأ لسيطرتهم التجارية ولا ينال رضى سامري وابعاد المسلمين عنه ، ونال البرتغاليون الإذن لبناء الحصن في فنّان خلال الصّلح مع سامري وعارض كنجالي مركار الرّابع[٣٢] تلك المحاولة. فأخذ الإختلاف بينه وسامري ، وإنتهز البرتغاليون هذا الفرصة واجتمعوا مع سامري وحاولوا حيلة علي كنجالي الرابع وقبل ذلك أجازسامري البرتغاليين لبناء الحصن في جوار' نهر إرنغل'(Iringal River)[٣٣] فظنّ سامري أنه في خطر شديد ، حينئذ كان كنجالي مركار الرّابع في القوة الشديدة والمرتبة العالية. فخاف سامري المركار الرّابع

---

[31] Miller, E. Roland., *Mappila Muslims of Kerala - A Study in Islamic Trends*, Madras: Orient Longman, 1976. P:27-30

[32] اسمه محمد كنجالي المشتهر 'كنجالي الرابع'

[33] هو نهر في شمال كالكوت بمسافة أربع ميلا من مدينة كالكوت .

وقرّرسامري مقاومة ومعارضة عليه مع البرتغاليين. وكانت هذه حيلة من كاهن برتغالي في كالكوت ، وهاجم مركار وأصحابه وقاوموا بشدة وقوّة ، ولما قرب مركار الرابع إلى الخسارة والهلاك استسلم بجميع أسلحته أمام سامري طلبا للأمن والسلامة لنجائه، بل لم يستطع سامري لتنفيذ وعده. ثم نقله البرتغاليون إلى' جووا'(Goa)[٣٤] وقتل وقطعوا رأسه وومثلوه وأرسلوا جثته إلى كنّور ليرهب به المابليون بذلك المنظر الوحشي . وبهذا انتهت سلسلة كنجالي مركار وأتبّاعه واختتمت مقاومة المابليين التي استقرّت في ساحل ملبار مدّة قرن واحد، هذه هي المناهضة التي لا تمسح من قلوب المسلمين الملباريين أبدا.

وبعد ذلك تمّ تأسيس الأسرة االسلالة الحاكمة المسلمة الأولى في كنّورالمعروف باسم "أراكل" سنة ٦٨٧م (٦٤هـ) وكان مؤسّسها محمد علي بن شري ديوي أخت جيرمان برمال، وكانت عاصمتها الأولى في مدينة ' درمدم' ثم نُقلت إلى كنّور. وتعرف هذه الأسرة باسم الأسرة السلالة الحاكمة ' أراكل' واشتهرت هذه السلالة باسم ' الملوك علي' أو ' ملوك آدي' أو ' ملوك آزي' أو' ملوك أراكل'. ولمّا دخل البرتغاليون في ملبار خصوصا في كنّور استولوا التجارة البحرية والحكم المحلّي في كنّور آنذاك، وفي رأي لوكن(William Logan) " شجّع جيرمان برمال المابلا جونكا في التجارة ودعا إلى،كيرلا. ودعا أحد محمد وزوجته الذي سكن في

[34] مدينة تقع ساحل الغرب بين كرناتكا ومهاراشترا وكانت مركزا مهما تحت سيطرة البرتغاليين.

مكان ' آري برم ' إلى كنور واستوطن هناك ، ويعرف هذه الأسرة باسم ' على راجا' أو ' آزي راجا' بمعنى (ملك البحر) "[٣٥].

ويوجد في تقرير أراكل عن هذه السلالة الحاكمة " أنّ أخت جيرمان برمال ' شري ديوي' سكنت في درمدم وتولى أخوها الحكم بعد مسافرة عمّه إلى مكّة. وكان اسمه 'مهابلي' وبعد اعتناقه الإسلام غيّر اسمه محمدا وسجّل ملكا مسلما أولا"[٣٦] .

وتوجد آراء مختلفة وأسطورة كثيرة عن السلالة الحاكمة الأراكل، وفقا لبحثنا أسّستها أخت جيرمان برمال في القرن السادس عشر الميلادي. وحكم المسلمون في كيرالا في سلالة حاكمة واحدة فقط ، وهذه هي سلالة حاكمة أراكل ، واتبعت هذه السلالة أيضا "النظام الأمومي" في الوارثة ووجدت فيها سلطة النساء أيضا، ونرى المابليين في كنور في بداية عهد حكومة البرتغاليين أمّة مهمّة وحصلوا على مكانة جيدة. وتولت أعضاء هذه الأسرة رئاسة واستولى هذه الأسرة على مالديوا (جزيرة مال) ولكاديوا (جزيرة لكادو)[٣٧]، واصدروا البضائع إلى كنور واستوردوا بضائها الأخرى من هناك مثل السكر والملبس والأرز والأشياء اليومية برئاسة أسرة ' ممّالي' وهذه الأسرة تقوي التجارة البحرية وأمن العسكرية في ميناء كنّور وهيّأ السفن الصغيرة والكبيرة للسفر البحرية والسيطرة في

---

[35] Logan, William, Trans: Krishna, T.V., *Lagante Malabar Manual*, Calicut: The Mathrubhumi Printing & Publishing Company Ltd, 2000, P: 250-255.

[36] Kuruppu, K.K.N., *Ali Rajas of Cannanore- Kerala Historical Society* Thiruvananthapuram: 1975, P:22.

[37] جزيرة تقع في بحر عمان تجاه ساحل كالكوت

كنور كلها كانت في رئاسة حكومة هذه الأسرة ، ومع هذا ساعدهم علاقة وتعايشا بالعرب وشدّد السّلسلة خصوصا في عهد البرتغاليين فاحتاج إلى المقاومة مع البرتغاليين ولكن فيما بعد اضطروا لمقاومة البرتغاليين لإستقامتهم وأمنهم.

وفي الجملة قد كان لمجتمع مابلا علاقة قوية بالعرب منذ قدم الزمان، ولذلك اختلطت ثقافة العرب ولغتها بثقافة مابلا وتأثرت في قلوب المسلمين تأثيرا واسعا ويعكسه في لغتهم أيضا. وقد اتبع المسلمون عاداتهم وتقاليدهم منذ زمن بعيد. وحينما وصل المستشرقون تملكوا سيطرة التجارة وبدؤوا الظلمة الوحشية وانتشروا الإضطهاد ضد العرب والمسلمين في كيرالا. فقاوم مسلموا مابلا عليهم واستعملوا الأدب ليشجع المواطنين ومدحوا أبطال الذين قاوموا في المعركة الشديدة.

تاريخ تطوّر لغة ' عربي- مليالم'(Arabic- Malayalam)

إن لغة 'عربي مليالم' هي لغة تطورت بين مسلمي ملبار[38] نتيجة لعلاقاتهم بلغات شتّى مثل العربية والمليالمية والتاملية والفارسية وغيرها. وهي أصل جميع الأدب من النثر والشعر في جنوب كيرالا. وتاريخها يبدأ من الصلة التجارية قبل الإسلام التي كانت بين أهل كيرالا والعرب. إن لغة ' عربي- مليالم' تعرف بـ ' مابلا مليالم' أيضا(Mappila Malayalam).

---

[38] كلمة 'ملبار' كانت معناها كيرالا في قدم الزمان، هذه الكلمة مركبة من كلمتي (ملا) و (بار). وتستعمل كلمة (ملا) أو (ملي) في لغات دراويديين للجبل، وكذلك تعني في اللغة السانسكرتية ، و(بار) كلمة فارسية الأصل معناها الكثير. فصارت معنيها المجموع (بلد الجبال) أو بلد كثير الجبال. سمي أولا تلك البلاد باسم 'ملبار' أو 'ملابار' سكانها الملاحون الذين قدموا إليها من جزيرة العرب أو من بلاد القرس.

ولهجتها تطورت بتفاعل بين التجّارالعرب والمقيمين، وقد استعمل الدعاة المسلمون هذه اللغة لأهدافهم الدّعوية والتجارية ، وكانت وسيلة الاتصالات بين التجارالعرب ودعاتهم. و'مابلا ملیالم ' ليس من اللغة العربية والمليالمية ، بل هي خليطة كليهما. يعني تكتب العباراة المليالمية في الخط العربي مع تغيير رمزي ملائم.

كان اللغة العربية ضرورية لفهم القرآن والحديث ولكتابتهما عند العلماء والطلاب. ولذلك غيّر العرب الخط العربي تغييرا ملائما لتكوين كلمات جديدة وملائمة للغة مليالم. ولذلك تعرف هذه اللغة الجديدة باسم 'عربي- مليالم'. ويقرأ ويكتب المسلمون الكناديون (Kannads) وأهل تروتامكور(Tiruvithamkurs) الجنوبيين هذه اللغة أيضا . تتضمن هذه اللغة كلمات لغات شتّى مثل الأردوية(Urdu) والسنسكريتية (Sanskrit) والتاملية (Tamil) والكرنادكية (Kannada) والتوضو (Tulu) والتلغو (Telungu). وتراكيبها النحوية تتشابه باللغة المليالمية مع تغيّر ملتمس.[٣٩]

إذا نظرنا من ناحية التاريخ وجدنا أن هذه اللغة نشأت في القرن التاسع أو في أوائل القرن العاشرالميلادي . وفي القرن الأول الهجري كان المسلمون يستعملون حروفا عربية لنشر دينهم بعد دراسة اللغة العربية وتحقيقها. يشمل الأدب في 'عربي- مليالم' النثر والشعر . والشعر في هذه اللغة تُعرف بـ 'مابلا باد' (Mappilappattu) أيضا. وتتضمن هذه الأبيات

---

[39] Abu, O., *Arabee Malayala Sahithya Charithram*, Kottayam: Sahithya Pravarthaka Co-Operative Society Ltd, 1990, P: 6-10.

قصصا وأسطورات من العربية والفارسية القديمة وترتيلات وترنيمات ومدائح الصالحين وقصائد حماسية مقدسة وقصائد رسائلية وأغنية الزواج ودراسات أخلاقية وبيئات تاريخية من حياة المسلمين .

إن أول قصيدة في 'عربي- مليالم' معروفة باسم ' محي الدين مالا' نظمها القاضي محمد كالكوتي[40]. وكان هناك خمسون قصيدة مثل 'محي الدين مالا' . ويوصف فيها الأحوال الحربية كغزوات بدر وأحد وخندق وغيرها. وكذلك يذكر عن أسباب الإضطهاد المحلى الذي وقع بين البرتغاليين ومسلمي ملبار.

والنثر الأول في 'عربي- مليالم' هو فتاوى الدينية للعلماء من مواضع مختلفة شرعية ودينية. ولكن الكتاب المطبوع أولا هو ' الطب النبي' الكتاب المترجم من اللغة العربية الذي يتضمن فيه أحكام طبية من النبي صلى الله عليه وسلم. وكان معظم الكتب المترجم من اللغة العربية لأجل الدعوة الإسلامية.

نرى في التاريخ عن تطور اللغات. ولمّا دخل العرب فرنسا واستعملت الكلمات العربية بدلا من الكلمات الفرنسية فهكذا غلبت تلك الكلمات على الكلمات الفرنسية. ولما دخل العرب في فرنسا واختلطت لغتهم بالفرنسية بقيت سيطرة العربية على الفرنسية لعدة سنين. وكذلك لمّا دخل المسلمون السند في قيادة محمد بن قاسم اختلطت العربية في اللغة السندية وانتشرت

---

[40] يذكر هذا الإسم في هذه القصيدة

لغة 'عربي- سند' في تلك المنطقة . ولمّا وصلوا إلى بنجاب انتشرت لغة 'عربي- بنجاب' كما انتشرت لغة 'عربي- تامل' في تاميل نادو، و 'عربي- كرنادكا' في كرنادكا و'عربي- سيلان' في سيلان أيضا.

الباب الثالث

تأثير اللغة العربية في اللغة الماليالمية

لغة ' مليالم '

إن لغة 'مليالم'هي لغة كيرالا التي تعرف بـ'مليانما'(Malayanma). هي من أربع لغات درافدية. لها علاقة مع اللغة التاملية، لأن أكثر كلماتها مقترضة منها. وبمرورالزمان تفرّعت اللغة إلى لغتين محليتين من حيث رسم الخط المختلف. وعندئذ هيمنت الطبقة العليا من الهندوس اللغة السانسكريتية واستعملتها لقرائة كتبهم الإلهية وتعاملت بها لحوائجهم الدينية والسياسية لأن علوم الدين الهندوسي كانت مكتوبة في اللغة السانسكريتية. وكانوا يستعملون الخط المسند(Kolezhuthu) والخط المدور(Vattezhuthu) حتى عهد 'تنجات أزتاجان'(Thunjath Ezhuthachan). والجمهور من سكان كيرالا يتكلمون بلغة 'مليالم' ولكنهم كانوا غير قادرين على الكتابة والقرائة. وبعد إختراع رسم خط للغة الماليالمية في القرن السابع عشر الميلادي بدأ الناس تعلمها. وبعدئذ ظهر أدب 'مليالم' في كل أنواعه[1]. ولكن قبل إختراع اختراع رسم الخط للماليالمية كان مسلمو كيرالا يكتبون اللغة المحلية في الخط العربي وهي معروفة بلغة 'عربي- مليالم'. ولما تم تكوين لغة 'عربي- مليالم' استعملها العرب وأهل كيرالا للحوار والإتصالات كما

---

[1] Miller, E. Ronald. ,Trans:Krishnan, T.V., *Logante Malabar Mannual*, Calicut: Mathrubhumi Printing and Publishing Co.Ltd, P-87-90.

استعملوها للدعوة الإسلامية. وإنها كانت تُكتب بالخط العربي مع الكلمات الملبارية .

تأثير اللغة العربية على اللغة المليالمية:- واستدركنا أن ولاية كيرالا لها علاقة قوية مع العرب وثقافاتهم ولغتهم قبل وصول الإسلام إليها. ولذلك للغتهم العربية علاقة عميقة بأهالي كيرالا حتى في حياتهم اليومية. ويمكن لنا أن نقول عن اللغة العربية أنها أثرت تأثيرا عميقا على اللغة المليالمية وحياة أهالي كيرالا بعد اللغتي السانسكريتية والإنجيليزية. ولا ريب، أن كان التجار العرب يتوافدون إلى ملبارحتى صارت علاقتهم قوية وطويلة بسبب استيطانهم ودعوتهم الإسلامية وزواجهم في ملبار. وكانوا يعيشون ويختلطون بالمواطينين بصداقة وأخوة ومودة. وجعلوا علاقة إجتماعية وثقافية ولغوية مع سكان ملبار. فأصبحت اللغة العربية محبوبة عند المواطينين حتى ظهر تأثيرها في ظروف الحياة اليومية. ولما وصل 'واسكو دي غاما' ووفوده إلى كالكوت قدّم رسالة في العربية إلى سامري. وعندئذ كانوا يتحاورون في اللغة العربية للحوائج التجارية، لأن التجار كانوا يستعملونها في معاملاتهم. وكانت اللغة العربية أداة لدعوة البرتغاليين أيضا. ومن هذا الزمن نعتبر انتشاراللغة العربية في كيرالا. ونجد في اللغة المليالمية مفردات عربية مقروضة (Arabic Loan Words) كثيرة. وتوجد في اللغة المليالمية ألفاظا عربية التي دخلت إليها من اللغة العربية مباشرة، كما

توجد عندهم أساليب خاصة ممتزجة بكلمات عربية في أقوال أهالي كيرالا مثل كتاب، صبور، هلاك، مصيبة، تكبيروغيرها. ونرفق قائمة الكلمات من هذه الطبقة. كذلك توجد كلماتٌ عربية عديدة في أدب 'الشعر المابلي' خاصة. وكذلك بعض من ألفاظها تُستعمل في محادثات عادية و المكالمات اليومية، وأخيرا صارت هذه الكلمات عبر الزمان حزء للغة المليالمية. إذا نظرنا إلى كلمات عربية يستعملها أهالي كيرالا في حياتهم اليومية المختلفة نجد أنها يتم استعمالها في القانون وما يتصل بها، ومنها لفظ أنامة، وكالة ، منصف، وصول، وسند كما تستعمل في التجارة والحكومة مثل ديوان، رصيد، وقف، تحسن وغيرها. وكذلك يتم استخدامها كالمصطلحات الإجتماعية والثقافية مثل انقلاب، وطبل، ومدرسة، ومعمول، وقميص وغيرها. وكذلك تُستعمل الكلمات العربية في المنطقة التي تُوجد النصرانيون في الأغليبية.

والأساليب والأمثال السائرة

ومن تأثير اللغة العربية على اللغة المليالمية استعمال الألفاظ العربية مباشرة أثناء تكلم الملباريين فصارهذا التأثير ثقافيا بالإضافة إلى اللغوية، هكذا أحدث هذا التأثير في أدب اللغة المليالمية تغيّراتٍ محمودة بما أنه حبّب المسلمون العلم والمعرفة فتعلموا العلوم الإسلامية والمادية فتولدت لغة جديدة باستعمالهم المزدوجة أي اللغتين العربية والمليالمية. ووسّع هذا التأثير الثقافي مجال أدب المليالمية. ومع ذلك

استمر هذا التأثيرالثقافي على ثقافة أهل كيرالا إلى درجة كبيرة. واستعمل الروائيون المواطنون هذه الأمثال والأساليب في رواياتهم وقصصهم. ولذلك استطاع الأدباء أن يحسن آدابهم بالزّخارف اللفظية الجديدة فاستخدموا هذه العبارات في آدابهم وخاصة في حوارات القصص والروايات. مثلا- نرى في بعض الرواية عبارات عربية مختلطة كثيرة منذ بداية الكتاب إلى نهايتها كما توجد هذه العبارات والأساليب في معظم الروايات والقصص حيث تصور فيها خلفية المسلمين الإجتماعية مثل رواية 'أروب'(Uroob). ويكتب الأدباء المعاصرون كثيرا من الروايات والقصص في هذا الأسلوب مثل الأدباء المشهورة في الأدب الماليالمي(Malayali Writers) 'أم. دي. واسو ديون ناير'(M.T.Vasudevan Nair)، و'أن. بي. محمد (N.P.Muhammed)، و' تيكودين'(Thikkodian)، و' بونتل كنجي عبد الله'(Punathil Kunjabdulla)، و'ميدو باديت'(Moidu Padiyathu)، و' كيساوا ديو'(Kesavadevu)، و'بي. اي. محمد كويا'(P.N.Muhammad Koya)، و'محمد بشير ويكامي'(Vaikkam Muhammad Basheer)، و'اس. ك. بوداكاد'(S.K.Pottakkad) وغيرهم. إذا حذفنا هذه العبارات من رواياتهم فقدت جمالها وحسنها ولها مساهمات قيّمة وتأثير عظيم على الأساليب والعبارات والأمثال كما لها دور كبير في أدب الماليالمية لسبب استخدام العبارات العربية في اللغة بكثير. وتعطي هذه العبارات والأساليب اللغة

الملیالمیة حسن التألیف ومعاني خیالیة وتراکیب حسنة أکثر مما تنال بألفاظ الملیالمیة فقط. وأسفرت هذه الإستعمال فیما بعد إلی تأسیس لغة جدیدة باسم 'عربي- ملیالم'. ویوجد الآن عدد الکلمات العربیة فیها نحو ثلاثة وأربعین في المائة. وقد ذکر الأستاذ بي. أم. عبد الرحمن[٢] في بحثه مئات من الکلمات العربیة في اللغة الملیالمیة، وأقدم بعضا منها کنموذج لفهم مثل هذه الکلمات المقترضة.[٣]

کلمات عربیة	نطق في اللغة الملیالمیة	معاني في الإنجلیز
آثر	Aadarikkuka	To Honour
أداء	Adavu	Payment
أدغام	Adhikam	Doubling
أدهش	Athishayikkuka	To Wonder
أصل	Assal	Original
الطعام	Athazham	Food
بدل	Badal	Instead
برانی	Bharani	Jar
بازمة	vishamam	Difficulty
بعق	vazhakku	To quarrel
بیاضة	Vella	Whiteness
جوز	Jodi	Pair
جید	Chitham	Fit
حرم	Aramana	Private Quarters
حلوی	Halwa	A Sweet meat
حمض	Aml'am	Acidic

[2] أستاذ سابق بالکلیة الحکومة برانان، تلاشیري، کیرالا.
[3] نقلا عن کتاب " العربیة في جنوب الهند" للدکتور إي. کي. أحمد کوتي.

Letter	Kathu	خط
Fatness	Pushti	بسط
To mix up	Kalarthuka	خلط
Phantom	Kolam	خيال
Experience	Thazhakkam	دعك
Message	Douthyam	دعوة
To cocker a child	Thalolam	دلل
To perish	Thamaruka	دمر
To irrigate	Aruvi	اروي
Melody	Ragam	رخم
Brightness	R'ank	رونق
Eventide	R'aavu	رواخ
Ascetic	Saadhu	زاهد
String	Charadu	زرد
Sugar	Chakkara	سكر
Forbearance	Kshama	سماح
Wall	Chuvar'u	سور
Conduct,Custom	Char'ya	سيرة
Shining	Shobha	شبو
Oak-tree	Chavoku	شبوق
To crush	Chathakkuka	شدخ
To recover	Samikkuka	شفا
To kiss	Chumpikkuka	شم
Fame	Sruthi	شهرة
Trampling	Chavittu	شوط
bad	Cheetha	شيط
Devil	Chaithan	شيطان
Wing	Chiraku	شراع
Correct	Sar'i	صريح
Stagnating water	Chira	صرى
Idol	Chihnam	صنم
Satisfaction	Thripthi	طربة

Oil for annoying	Thailam	طيلة
Tent	Thampu	طنب
Companion,	Suhrthu	ظهرة
Destitute	Atima	عديم
To know	Arivu	عرف
A kind of long	Urumi	عرمي
To be naked	Ur'iyuka	عري
Life time	Ayussu	عائش
To plant	Krishi Cheyyuka	غرس
Flirting	Konjuka	غنج
Hidden	Gopyam	غيوبي
Mouth	Vaaya	فا
To fly	Paaruka	فار
Exaggeration,	Per'uthu	فرط
Large	Per'iya	فري
Benefit	Falam	فضل
Thought	Vikaar'am	فكر
Fit of anger,	Por'u	فورة
Continent	Kar'a	قارة
Holding	Kumbil	قبض
Lot	Kury	قرعة
Butcher	Kasappukar'an	قصاب
To pass	Kazhiyuka	قضي
Bunch	Kombala	قنبل
Hillock	Kunnu	قن
Falsehood	Kal'avu	كذب
Fresh herbage	Kal'a	كلاء
To be joined	Layikkuka	لحق
Honey	Madhu	ماذي
To change	Maruka	مار
Mucous	Mookatta	مخاط
Especial	Mikachha	مخصص

Overseer	Mesthr'i	مسيطري
Forgiving of	Mappu	معاف
Formality	Maa'mool	معمول
Bed	Mettha	مهد
Slowly, Leisurely	Melle	مهلا
Playground	Maidanam	ميدان
We	Naam	نحن
Order	Niyamam	نظام
Blessing	Nanma	نعمة
Loom	Nool	نول
Fat	Neyyu	ني
Blue	Neelam	نيل
To scatter	Vitharuka	وذر
Quarrel	Vazhakku	وعق
To be still	Adanguka	هدأ
Kid tied in a pit	Ir'a	يعر
Time	Yaamam	يوم
Pebble	Kallu	قض
Dwell	Parkkuka	برك

نشر وترقية لغة 'عربي- مليالم'

إن لغة 'عربي- مليالم'(Arabic-Malayalam) هي لغة تشكلت بتأثير اللغة العربية على اللغة الملبارية، وإليه يشير قول صاحب كتاب " تاريخ أدب عربي- مليالم" أو. أبو.(O.Abu). تُعرف هذه اللغة باسم لغة 'عربي- مليالم' لكونها لغة تكتب فيها لغة 'مليالم' باستخدام الخط العربي. وتعرف الكتب المكتوبة في هذه اللغة بـ ' أدب مابلا' لأن الذين يستخدمون هذه اللغة هم المابليون أي المسلمون من سواحل ملبار. وقد

تكوّنت هذه اللغة بألفاظ من اللغات المختلفة مثل العربية والفارسية والسنكريتية والأردوية والكندية والتاملية مع تغييرصغير في التركيب والأحرف والأساليب بالمعاني الميالمية. وتوجد في هذه اللغة ألفاظ مختلف نادرة لا توجد في اللغات الأخرى. وفي بداية انتشار الإسلام في كيرالا لم يكن هناك أيّ خط نظامي ، ولما وصل دعاة المسلمون إلى كيرالا اضطروا إلى انشاء خطٍ جديدٍ خاصٍ لدراسة العلوم الإسلامية وكتابة الفتاوى في لغة محلية. وكان لغة عربي-ميالم بحروف عربية جديدة متغيرة ملائمة بلهجة ميالمية وهي نتيجة طلبهم لوسيلة لغوية تكتب بها. وكوّنوا هذه اللغة من لغات شتى بتراكيب جميلة وألفاظ معروفة وأساليب جيدة مثل لغة عربية- تاملية، وعربية- كندية، وعربية- بنغالية، وعربية- كاشميرية، وعربية- مالية، وعربية- ماليزية، وعربية- بشتية، وعربية- تركستانية، وعربية- تركية، وعربية- صقلية، وعربية- أندلسية، وعربية- تاشكندية، وهندوستانية، وفارسية وغيرها. وفي البداية استخدموا هذه اللغة للدعوة الإسلامية فقط.

والكتب القديمة التي كُتبت في لغة 'عربي- ميالم' مثل كتاب ' وضّاد مسئلة'(Vellati Mas'ala) و' نسكارا باد' (Niskarappattu) و' عشرون صفات' و'واجبات المسلمين' تشير إلى أن الحروف التي تستعمل في هذه اللغة هي ستة وثلاثين حرفا. ولكن بعد زمن قليل

كثرت عدد الحروف بموجب تجديدها. السيد علوي تنغال، وابنه السيد فضل بوكايا تنغال كانا من المجددين الأوائل فيها. و بعد ذلك جاء العلماء الكرام المهمون المتأخرون المجددون مثل عمر قاضي وضين كودي، مولانا أبوبكر مسليار[4]، شجاعي ميدو مسليار، مولانا عبد الرحمن مخدوم تنغال وغيرهم. وكذلك كثير من العلماء والأدباء ساعدوا في تطوير هذه اللغة ونموّها بتأليف الكتب والترجمة من العربية والفارسية إلى هذه اللغة . فنرى كتبا كثيرة من النثر والشعر والتاريخ والأحكام الشرعية والعقيدة والتصوف وغيرها. وأخيرا جدّد الحاج كنجي أحمد 'عربي- مليالم'. ولذا نستطيع أن نكتب بسهولة ولا مشقة كل لغة من لغات العالم في لغة 'عربي- ملياليم' الحديثة[5].

إن التاريخ يوضح لنا أن هذه اللغة ظهرت وشاعت في أواخر القرن التاسع أو أوائل القرن العاشر الميلادي[6] . عندما دخل المسلمون في بلاد أجنبية متعددة للدعوة الإسلامية بدأوا الكتابة باللغة المحلية هناك بالخطوط العربية. وكذلك عندما وصلوا إلى ملبار بدأوا الكتابة بهذه اللغة. يقول فرانسيس بوكانن(Francis Buchanan) عن هذه اللغة عندما زارملبارعام ١٨٠٠م " إن اللغة في هذه المنطقة هي لغة ملبار كما ذكرالأوروبيين، ولكن هذه اللغة تتميز من اللغات التاملية والمليالمية،

---

[4] هو معروف باسم أوو كويا مسليار(Avukkoya Musliyar)

[5] Abu, O., *Arabee Malayala Sahithya Charithram*, Kottayam: Sahithya Pravarthaka Co-operative Society, 970, P:17-20.

[6] Abu,O., *Arabee Malayala Sahithya Charithr*am, Kottayam:.Sahithya Pravarthaka Co-operative Society, 1970, P:22 .

ونستطيع أن نقول أن هذه اللغة جزء من لغة ملیالمية أو لغة ملبار (لغة عربي- ملیالم) يفهم زملائي (جاء من مدراس) قليلا. ونري فيها لهجات مختلفة كثيرة من هاتين اللغتين(لغة ملیالم وتامل). وتتضمن فيها أسلوب من الأغنية السانسكريتية. وتستعمل هذه الخطوط لتنظيم الشعر كما تستعمل في الملیالم، ورغم ذلك لغة الشعر في الملیالمية والتاملية هي لغة واحدة."[٧]

تشكيل خط لغة 'عربي- ملیالم'

إن أصل حروف لغة 'عربي- ملیالم' هوحروف عربية. وإن للعربية ثمانية وعشرين حرفا، وكل حرف حرف ساكن(Consonant)، وهناك ستة وخمسون حرفا في لغة ملیالم. وكل منها مشتملة على حرف ساكن ولين(Consonant and Vowel). ولكن لا نستطيع أن نلفظ باستعمال حروف اللغة العربية إلا بخمس عشرة حرفا ملیالميا. وهي كما يلي: ا، ب، ت، ج، د، ر، س، ش، ك، ل، م، ن، و، ه ، ي، كما لا نستطيع أن نلقظ بعض الحروف الملیالمية في اللغة العربية. وقد يُضاف رموز خاصة ونقط تحت بعض الأحرف العربية وفوقها حينما يستعمل في 'عربي- ملیالم' وتضمّ حرفين لبناء بعض الأحرف المتأكد. فهكذا تصورّت ستة وثلاثون حرفا في لغة 'عربي- ملیالم' في البداية.

---

[7] Dr. Buchanan, Francis., *A Journey from Madras through the Countries of Mysore, Canara and Malabar*, Vol.1, P:2.

ويقول اي. سي. برنل(A.C.Bernal) في كتابه 'Specimen of South Indian Dialects' " كان المابليون ماهرين في الأدب، ويملكون كتبا كثيرة عن تقاليدهم وعاداتهم. طبعت فيها كتب في التاريخ والمواضيع الدينية مع قصيدة جميلة. ويستعمل المابليون في سواحل جنوبية وغربية خط مثقفة. ولا يعرف أحد عن مؤلفها وزمنها ولكن يستخمها طول تامل نادو وعرضها"[٨]. ومن هذا نفهم أن هذه اللغة انتشرت في ملبار وتطورت بامتزاج الكلمات العربية والتاملية والسنسكريتية وغيرها من الألفاظ الهندية والأجنبية.

أدب 'عربي- مليالم' : الشعر والنثر

ينقسم هذا الأدب إلى نوعين – الشعر والنثر- وأما الشعريتضمن قصائدا عديدة مثل 'قصيدة مالا'، و'قصيدة بدا'، و'قصيدة قصة'، و'قصيدة مدح'، و'قصيدة كسّ'، و'قصيدة أردي' وغيرها. ونجد كتبا عديدة في هذا النوع بين المسلمين في كيرالا. يمدح الشعراء في هذه القصائد العلماء الكرام والأشخاص العظام الذين عاشوا في جو تقي وورع واخلاص وخوف. وأول قصيدة في هذا النوع هي معروفة باسم محي الدين مالا التي نظمها قاضي محي الدين كالكوتي. تحتوي هذه القصيدة على أحوال حياة محي الدين عبد القادر الجيلاني وكراماته الواردة عنه. ثم نظمت قصائد أخرى على أساس محي الدين مالا. ولم

---

[٨] Abu, O., *Arabee Malayala Sahithya Charithram*, Kottayam, Sahithya Pravarthaka Co-operative Society, 1970, P:23.

توجد في 'عربي- مليالم' أيّ قصيدة من القصائد أقدم وأسبق من محي الدين مالا. وكذلك يشرح في قصيدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وكذلك نجد في هذه اللغة قصيدة خطابية تتضمن الرسالة تحتوى الومواضيع الرومانتيكية كما نجد قصيدة الزواج تنشد خاصة في الاحتفالات التزويجية. وفي قصيدة أردي تشمل النصيحة والإقتراحات. وكل هذه القصائد في هذا النوع تعرف بـ 'أغنية مابلا'(Mappilappattu) أيضا.

الشعر:- الشعر تُعرف بـ 'مابلا بادو' (Mappilappattu) أيضا . وتتضمن هذه الأبيات قصصا واسطورات من العربية والفارسية القديمة وترتيلات وترنيمات ومدائح الصالحين وقصائد حماسية مقدسة وقصائد رسائلية وأغنية الزواج ودراسات أخلاقية وبيئات تاريخية من حياة المسلمين.

قصيدة مالا (Malappattu):- هي قصائد مديحية لتذكار الحوادث الممدوحة عن حياة السادات والصلحاء . ومنها قصيدة نذر. تنشد هذه القصائد لتحصيل الشفاء من المرض والحزن كما تنشدها في حفلات نظيفة وجو صاف. ويعتبرأن هذه القصائد ظهرت منذ أربعة قرون تقريبا. نظمها العلماء المخلصون الذين فهموا الدين الإسلامي فهما جيدا. وتتضمن هذه القصائد من ثلاث مائة إلى ستة مائة أبيات تقريبا. تبدأ كل هذه القصائد باسم الله والصلوة والسلام على رسوله وأصحابه ثم

توضح الحوادث في صورة خاصة. وتنتهي بالدعاء. ونرى فيها صورة واحدة ولو كانت نظمها في أساليب مختلفة. وكان هدفها التفهيم عن التاريخ الإسلامي والحوادث الخاصة مثل الغزوات الإسلامية ومدح الكرام والصلحاء وتاريخ حياة العلماء والأولياء الذين عاشوا في الظروف الإسلامية طالبين رضى الله وحبه وتاركين الحوائج الدنيوية والرغبة فيها. وتشير هذه القصائد إلى هؤلاء الصلحاء المذكورين وتاريخ حياتهم وطرقهم العظيمة. وتقود هذه القصائد إلى أفكار أخروية ومع هذا تنذر لنا نتيجة المعاملات الدنيوية السيئة . ويعتبرجمع كبير في مسلمي كيرالا قرائة هذه القصائد عملا صالحا عبر قرون ، ولها مكانة سامية في كل بيت من بيوت المابليين.

'قصيدة بدا' (Padappattu):- هي قصيدة حماسية . تصور هذه القصائد حوادث الحروب في الإسلامية التي وقعت من تاريخ الإسلام من البداية حتى نهايته. وقد ألف نحو خمسين قصيدة في هذا الموضوع في لغة 'عربي- مليالم'. ومن المشهور في هذا النوع قصيدة بدر، وقصيدة أحد، وفتح مكة، وفتوح الشام وغيرها. تزود هذه القصائد القرائين بأخبار حربية تاريخية التي تثير الرغبة إلى في دراسة التاريخ . وتشتمل القصائد أيضا تاريخ الأنبياء والسادات والمؤرخين والصلحاء - وعلى سبيل المثال- قصة يوسف، وقصة النبي آدم، وقصة النبي إبراهم،

وغيرها من القصائد التاريخية.[9] و قد ركز العلماء الشرقيون مثل 'غوندرت'(Gundat) و'تيشدان' (Turston) على ذكر هذه القصائد وميزاتها.

نرى في لغة 'عربي- مليالم' كتبا كثيرة توضح مشاكل حديثة وتشرح أمورا دينية وتنقد تقاليدا غير دينية. وطُبعت آلاف منها. ولكن كثير من تلك الكتب غير موجودة في عصرنا هذا. وإذا لاحظنا أعمال الشعراء والشاعرات من هذا النوع وجدنا نحو ستة آلاف قصيدة ومن أصحابها قاضي محمد، أبو بكر كنج قاضي، كنجايين مسليار، آلنغل حسن، كمدي مركار، محيي الدين كوتي ويديار، محي الدين كوتي جاكيري، الحاج فريد كوتي، شجاعي محمد مسليار، مركار كموتي، عبد العزيز مولوي، كنجي آمنة كوندل، كنجي عائشة سي. أج.، بيوي حليمة وغيرهم. ولكن لا يوجد الآن كثيرٌ من أعمالهم لعدم نشرها كما لا نعرف كثيرا من الشعراء والشاعرات من هذا الصنف[10]. واسم 'محي الدين كوتي ويديار' يجدر بالذكر من بين هؤلاء لكونه شاعرا مشهورا حتى في عصرنا الجديد. وقد ألف كتبا كثيرة في لغة عربي- مليالم وكلها أبيات وقصائد جميلة في أسلوب حسنة وجذابة إلى النفوس حتى استقبل الناس جميع مصنفاته وكانت أبياته رائجة بين الناس ويغنون

---

[9] Abu, O., *Arabee Malayala Sahithya Charithram*, Kottayam, Sahithya Pravarthaka Co-operative Society, 1970, P:90.

[10] نفس المصدر ص:١٢٠-١٢٣

بها. والانجليز أيضا احبوا قصائده وترجموا كتابيه إلى الإنجليزية (بدر بدباد، حسن الجمال). ولا شك في أن محي الدين ويدياركان يتمتع باحتراما مستحق بين الأوساط الأدبية لإحياء أدب عربي- مليالم ولكون مصنفاته رائجة حتى في العصر الحديث.

النثر:- إذا بحثنا عن تاريخ النثر في 'عربي- مليالم' وجدنا أن لها مكانة جيدة منذ أحد عشر قرنا. دخل المسلمون في كيرالا للدعوة الإسلامية وطبقوا اللغة العربية على اللغة المحلية. ونفهم أن العرب دخلوا في ملبار وبنوا مساجد في سواحل كيرالا واشتغلوا دعوة الإسلامية وكوّنوا اللغة 'عربي- مليالم'.

والمساهمة الأولى في نثر هذه اللغة برزت في مجال الترجمات على أنهم ترجموا الكتب العربية إلى الموليالمية بل كتبوها في 'عربي- مليالم'. وازدادت عدد ترجمات من هذا الصنف فيما بعد، وألف العلماء كتبا عديدة كماترجموا القرآن الكريم قبل قرن واحد من هذه اللغة. وقد ألفت كتب كثيرة في الفقه والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية. ومن هذا وجدنا براهين كافية لوجود المؤلفات الاسلامية في هذه اللغة أكثر مما في اللغة الموليالمية. ولذلك يعتبر الناس هذه اللغة لغة مسلمي مابلا. ولا نجد أيّ كتاب في التاريخ الإسلامي والأحكام الشرعية في اللغة الموليالمية إلا في العصرالحديث. وكتب الكهان الأوروبيون الإنجيلَ في

'عربي-مليالم'. وهذا يدل على أن هذه اللغة كانت رائجة ممتازة في ملباربين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

إن الترجمة كانت عملا مهما بين المسلمين الملباريين. ويعدّ ماين كوتي إيضياوي(Mayin Kutty Elayavu) أول مترجم بينهم. ترجم تفسير القرآن في لغة 'عربي- مليالم' في ستة مجلدات طبعت أولها عام ١٢٨٩هـ وتمت طبع جميع مجلداته عام ١٢٩٤هـ. وبعد ذلك كثير من العلماء اتبعوا هذا الطريق مثل محمد مسليار الشالياتي، كنجي أحمد مولم بتي، عبد الرحمن مسليار جريادي، ثناء الله مهدي تنغال، الحاج كنجي أحمد الشالياتي، وعبد القادر المولوي الوكمي وغيرهم[١١].

وبالإضافة إلى الترجمة تشمل هذه اللغة علوم الطب والفلك والأحلام وغيرها. ألفت كتب كثيرة في هذه العلوم مثل ' ولي ويديا سارم'(Valiya Vaidya Saram)، و 'أوتا مولكض'(Otta Moolikakal)، و 'وِشَوَيْديام'(Vishavaidyam)، و' شيشو جكلسة'(Sishu Chikilsa) (في علم الطب)، و' خيرات المسلمين' (في علم الفلك)، و ' كناوندي تأوير'(Kinavinte Ta'aveer)(في علم الأحلام).[١٢] وكذلك نشر المستشرقون كتابا بمساعدة العلماء المسلمين (هورتوس هنديكس ملباركس- Hortus Indicus Malabaricus) عن الأسماء العربية للأشجار

---

[11] Abdurahman, P.M., *Contribution of Arabic to Malayalam Vocabulary and Grammar*, Calicut University, P:37.

[12] Dr. Ibrahim, Kunju., *Mappila Muslims of Kerala- Their History and Culture*, Thiruvananthapuram: Vakkam Moulavi Foundation. Kaniyapuram and Sandhya Publcation, 1989, P: 207.

والنباتات والأعشاب في اثنا عشر مجلدا ونشرت من امستاردام (Amsterdam, Holland)، وتم طبعها من عام ١٥٢٨ إلى ١٧٠٣ الميلادي[١٣].

إذا نظرنا إلى لغة 'عربي- مليالم' من ناحية الرواية وجدنا أن المابليين ليسوا في درجة متخلفة في هذا النوع. والرواية الفرسية ' جهر درويش'(Chahar Darvesh) قد ترجمت إلى هذه اللغة في أربعة مجلدات عام ١٨٨٣ م، وعلاوة إلى ذلك ترجمت روايات اخرى مثل قمر الزمان، شمس الزمان، آمر حمزة، كلسنوبر وغيرها. وكذلك ترجمت 'ألف ليلة وليلة' في ثمانية أجزاء عام ١٣١٨هـ كما ترجمت كتب غير واحدة في الفقه ككتاب 'فيض المنان' لقادر كوتي مسليار في ثمانية مجلدات و'فتح الصمد' و'فتح النور' لنوح كنّ مسليار. ونشرت قواميس عديدة مثل قاموس المترادفات لمحي الدين كوتي جاكيري، وقاموس المسلمين لعبد القادر ويديان، وقاموس متعدد(Multilingual Dictionary)، ومقاسن المفردات للسيد محمد كويا تنغال، وقاموس أردو- مليام لعبد الله مولوي.

والجدير بالذكر أن معظم الكتب غيرموجودة الآن لعدم طبعها ونشرها آنذاك وذلك لكون الطباعة غير رائجة. ولكن نشرت آلاف من الكتب في الطب والرياضيات والكهانة والرواية والمعاجم وغيرها.

---

[13] نفس المصدر.

هناك بعض من الكتب والصحائف المهمة المشهورة في هذه اللغة نذكرها في الأوراق التالية:

هداية الأذكياء	ترجمة	زين الدين المخدوم الأول
ترجمة تحفة المجاهدين	"	كي. موسمان كوتي
فيض الفياض	"	
نهج الداقائق	"	ميدو مسليار كوضنغرا ويتل
منهاج العابدين	"	عمر ويديار
وجهات المخلفين	"	
تفسير القرآن	"	ماين كوتي إضياو
تفسير القرآن	"	إبراهيم مسليار كوكنم ويتل
سورة الكهف	"	"
سورة يسين	"	"
سورة عم	"	عبد القادر مسليار
سورة الملك	"	"
سورة الإخلاص	"	بي. كي. موسى مولوي
سورة الفاتحة	"	سي. اج. محمد مولوي
إبليس نامة	"	كنجامو مولامبت

كناوندي تأوير	"	"
باب الصوم من إحياء علوم الدين"		"
وترية	"	باوا مسليار المخدومي
كيمياء السعادة	"	عبد القادر مولوالوكمي
غوض الصباح	"	"
فتح الصمد	"	محمد كنّ مسليار
فتح النور	"	"
فتح المنان	"	"
سنوسي	"	"
أخبار الأحمدية	سيرة	محمد مسليار الشالياتي
سيرة النبوية	"	كنجامو مولامبت
خديجة الكبرى	"	إبراهيم كوتي الشالياتي
فاطمة الزهرى	"	
مناقب الصديق	"	عبد الرحمن مسليارأريال برت
تحفة الصائمين	فقه	محمد مسليار جريادي
نبتليم	"	كويا كوتي تنغض بادور
عمدة المصلين	"	كنجي موسى مسلياربورادتل

فتح الفتاح	"	
واجبات المكلفين	"	مركار مسليار بتيوتل
كتاب الصوم	"	
عمدة السالك	"	
نور الأبرارل	"	
تاريخ ملبار	تاريخ	إبراهيم مولوي
قصة مريم	"	
قصة يونس	"	
قصة يوسف	"	
قصة بدر	"	
قصة توفان	"	
قصة كربلاء	"	
قصة فرعون	"	
دروس التاريخ الإسلامية	"	
ترجمة ألف ليلة وليلة	قصة	
قمر الزمان	"	
أمير حمزة	"	

علاؤ الدين	"	
ألف نهار	"	
شمس الزمان	"	
بدر المنير وحسن الجمال	"	
رد النصارى	نقد	عبد الرحمن مسليار
حياة الدين	"	أحمد مسليار بوتن ويتل
ولِيَ ويْديا سارم	طب	أحمد مسليار المخدومي
أبكارم	"	
بَروبكارم	"	
أوتمُولِكَض	"	
وشَويْديم	"	محمد كاركل

الصحائف المشهورة في 'عربي- مليالم':-

صلاح الإخوان	أسبوعية	سيد علي كوتي ماستر
الإصلاح	"	ميدو مولوي.إي
سَتْيا برَكاشَم	"	ثناء الله مهدي تنغاض
مَني وضكْ	"	سليمان مولوي
ملبار اسلام	"	عبد الرحمن حيدروس

الإسلام	شهرية	عبد القادر المولوي الوكمي
الإرشاد	"	كي. أم. مولوي
نساء الإسلام	"	كي. سي. كومو كوتيمولوي
البيان	"	أحمد كوتي مسليار بانغل
المرشد	"	جمعية العلماء بعموم بكير الا
الإتحاد	"	اي. كي. مولوي
بَرُوبَكاري	"	ثناء الله مهدي تنغال
الهداية	"	

ونظرا إلى تعليم لغة 'عربي- مليالم' نفهم أن أكثر من ثلث ألفاظها عربية. نذكرهنا بعض الألفاظ العربية التي تُستعمل في هذه اللغة. وهذه الألفاظ رائجة عند مسلمي ملبار.

أمة	أمين	أصل
أصح	أمر	أصفر
أحمر	أحد	أصل
آفة	آخر	أول
أخروي	أهل	اسم
إبليس	إنقلاب	إبل
برد	بلد	بيت
بركة	بُرقة	باقي
توبة	تحيّر	تكبير

تكميل	تحصيل	بدل
جواب	جمالية	جنس
جبهة	جهاد	جن
جنة	جماعة	جناب
جواب	جمال	جميل
حياة	حد	حجر
حرام	حباب	حب
حال	حار	حبيب
حرير	حمق	حما
حوري	حج	حضرة
حاصل	حلوى	حق
حمد	خالق	خوف
حبيب	خلق	خلافة
خزانة	خليقة	خاص
دوم	دنيا	دوام
دار	ديوان	ذكر
راحة	رحمة	ريح
رضى	رصيد	رمضان
رد	روح	زمين
زينة	سرير	سند
سيف	سرور	ساعة
سلام	سلطان	سند
سر	سجود	سفر
شجاعة	شيطان	شكر
شر	شهر	شطرنج

شرع	شرف	شربط
شرط	شاي	شرك
شمس	صمد	صفة
صبور	صلاة	صادق
صلاواة	صوم	صدقة
صاحب	صوت	ضيف
ضوء	طبل	طلاق
طف	عبد	عقيدة
علم	عقل	عيش
عجب	عشق	عدالة
عصر	عالم	عبادة
عين	عمراء	عفو
عارفين	علماء	غيب
فقير	فرقة	فرقان
فردان	فخر	قبول
قريضة	قصة	قول
قيامة	قرار	قميص
قمر	قلب	قبر
قاضي	قهوة	كتاب
قدم	كفيل	كفر
كلام	كنيسة	كتاب
ليل	لوح	موت
مقام	مرتبة	مشهور
معرفة	محمود	
مراد	مدح	مشهور

مظهر	مصيبة	مسكين
ميت	موت	منصف
مختيار	مسجد	مدرسة
مجلس	مسافر	محل
مغرب	مشرق	محل
محب	مسألة	معاف
مسك	مسكين	معلم
نجس	نفس	نجم
نور	ناموس	نفر
نار	نصيب	نور
واجب	وحي	وصول
وكالة	وصية	وقف
وجوب	وزير	وجود
هبة	هلال	همّة

ولما شاعت هذه اللغة في ملبار استقبلها المواطنون بها استقبالا حسنة خلال القرون. فكثرت الأدباء والشعراء في هذه اللغة كما فهمنا آنفا. واستعملوا هذه اللغة في تدوين الأدب من مختلف أصنافه. واستخدموا الأدب في أمورهم العلمية وفي مشاكلهم الدفاعية. ولما احتل المستشرقون ملبار في كيرالا شجع الأدباء والشعراء المواطنون سكانها بتأليفاتهم الأدبية. فتأثرت قلوب المسلمين بجهدهم حتى ثاروا وغضبوا على المستعمرين وأعمالهم الشنيعة والقاسية. فشغل المسلمون

في المقاومة حيث يرغبون فيها بتأثير القصائد والأشعار مثل " قصيدة جيرور" حتى فُرضت ونُشرت قصائد عديدة لهذا الغرض.

الخاتمة

إن اللغة وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف، وكانت من العوامل الهامة في حياة الإنسان لاستمرار حياته وتطوير ثقافته. إن اللغة العربية من أقدم لغات العالم وأقواها في الجودة وأوسعها في التعبير. وقد أثر إنتشار العرب وجولتهم في مختلف أنحاء العالم تأثيرا عميقا كما أثرت اللغة العربية في لغات مختلف العالم. وفي البداية كان العرب تجار، وحينما وصلوا إلى بلاد أجنبية للتجارة فأثرت لغتهم علي لغات تلك البلاد وشعبها ، وكذلك وصل العرب إلى كيرالا أيضا لغرض التجارة.

إن ولاية كيرالا منطقة ساحلية واقعة في جنوب الهند ، وهي كانت معروفة باسم ملبار في الزمن القديم وهي تتميز بسائر بقاع الهند. ولسكانها عادات وتقاليد ولغة خاصة. ولغتها لغة 'مليالم' وهي من إحدى اللغات الدرافيدية. وكانت هناك علاقة تجارية منذ زمن قديم بين ملبار والبلاد الأخرى، ولكن كانت علاقاتها بالعرب قوية.

واللغة العربية من اللغات التي أثرت على لغة 'مليالم' بعد لغتي السانسكريتية والإنجليزية. وقد سببت علاقة العرب مع كيرالا إختلاط الكلمات العربية بالمليالمية . وفي الزمن الحالي تستعمل أهالي كيرالا كلمات عديدة عربية مقترضة بسبب التعامل التجارية والدعوة الإسلامية. وتم اقتراضها لحوائج الحكومة والمحكمة والجيش وغيرها. وتوجد في لغة 'مليالم' أكثر من ثلاث ألاف كلمات عربية كما أشار 'هرمان غونتارت' (

Herman Gundert)في معجمه، ومعظمها كلمات اصطلاحية التي تتعلق بالحكومة والمحكمة والتجارة وغيرها مثل عدالة، وصية، رصيد وغيرها. واستمرت علاقة العرب المباشرة لمدة قرون مع ملبار وتأثرت لغتهم وثقافتهم وحياتهم الإجتماعية والثقافية واللغوية، وصارت اللغة العربية محبوبة عند المواطنين وكانوا يستعملونها لدراسة القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك تُستعمل أساليب وأمثال عربية في أدب 'مليالم' ، ويستخدم الأدباء والشعراء عبارات عربية مختلفة في القصص والروايات وهكذا ساهمت اللغة العربية مساهمة عظيمة في أدب 'مليالم'.

كان مسلموا ملبار يستعملون العربية قبل تطور اللغة الميالمية لحوائجهم الدينية والدنيوية. ومع ذلك يستخدمون اللغة المحلية باستخدام الخط العربي. فتولدت لغة جديدة تسمى بـ' عربي- مليالم'. وهذه اللغة معروفة بـ' لغة ملبار' أيضا. وهي رائجة بين مجتمع كيرالا والطبقات المسلمة. وتُستخدم في جميع فروع الأدب. ألف الشعراء والكتاب المسلمون كتبا عديدة مرتبطة بتراث المسلمين القدماء من العلوم الدينية والإجتماعية في هذه اللغة الجديدة. وفيها نثرٌ وشعرٌ وحكمٌ وأمثالٌ. ودخل النثر عن طريق الترجمة من العربية والفارسية ونُقلت كتب كثيرة إلى لغة 'عربي- مليالم'. وكذلك الشعر، لها علاقة قوية مع القصائد العربية في الحب والغرام والوقائع التاريخية والحوادث الحربية وقصص الأبطال وغيرها.

وقد فُرضت أناشيد جميلة وقصائد كثيرة في لغة 'عربي - مليالم' لتشجيع المواطنين ضد المستعمرين مثل قصيدة 'بدابادو'(Padappattu). وكذلك تشتمل القصائد على المدح تذكارًا لحوادث ممدوحة من حياة السادات والصالحين مثل قصيدة 'مالا بادو'(Malappattu).

وفي الخلاصة ، أن العربية أثرت علي لغة 'مليالم' تأثيرا عميقا، وشاعت بين أهالي كيرالا واختلطت كلمات عربية عديدة في لغة مليالم، وساهمت مساهمة كبيرة في نشر لغة 'عربي- مليالم'. وشاع هذا الأدب بين مسلمي ملبار.

وقد حاولنا في البحث تقديم الكلمات العربية المختلطة بلغة 'مليالم' ، ولكن لا نقول أن هذه الدراسة قد وصلت إلى قمة الموضوع ، وضممنا بعض الكلمات في هذا البحث. ولكن للأسف لا تستعمل لغة 'عربي- مليالم' الآن إلا في بعض المدارس التي تشرف عليها 'جمعية العلماء لعموم كيرالا'، ولا تركز المدارس أيضا على فهم آدابها وتاريخها ، وليس هذا التدريس كاف لتفهيم أهمية هذه اللغة الجديدة للأجيال المعاصرة.

المراجع والمصادر

الكتب العربية

ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة**، بيروت: دار التراث، ١٩٦٨م.

أحمد، د. أشفاق، **مساهمة الهند في النثر العربي خلال قرن العشرين**، نيودلهي: مكتوب، ٢٠٠٣م.

أحمد، مقبول، (ترجمة: زياد نكولا) **العلاقات العربية الهندية**، بيروت: دار المتحدة للنشر، ١٩٧٤م.

الإسكندري، مصطفى عناني أحمد، **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه**، مصر: دار المعارف.

بك، محمد الخضري.، **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية**، القاهرة: المكتبة التجارية الكبري.

الرافعي، مصطفى صادق.، **تاريخ آداب العرب**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٤م.

الشريف، أحمد مقبول الإدريس.، **وصف الهند وما جاورها من البلاد**، عليجره: الجامعة الإسلامية، ١٩٥٤م.

الشيرازي، السيد حسن، **المقل الادبي**، بيروت: دار المعارف، ١٩٦٩م.

الغزالي، الشيخ زين الدين بن محمد.، **تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين**، كاليكوت: مكتبة "الهدى"، ١٩٩٦م.

فروخ، د. عمر، **تاريخ الأدب العربي**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

القاسمي، عبد الغفور عبد الله، **المسلمون في كيرالا**، مالابرام: مركز أكمل للكتب، ٢٠٠٠م.

القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق.، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، مصر: المكتبة التجارية، ١٩٦٣م.

محي الدين، ويران كي. وي.، **الشعر العربي في كيرالا مبدأه وتطوره**، كاليكوت: عربنت، ٢٠٠٣م

المعبري، زين الدين أحمد، **تحفة المجاهدين في أحوال البرتغالين**، بيروت: مؤسسات الوفاء، ١٩٨٥م.

معلوف، لويس، **المنجد في الإعلام**، الطبع التاسع، بيروت: دار الشروق، ١٩٧٦م.

الندوي، أبوالحسن على الحسني، **المسلمون في الهند**، لكناؤ:المجمع الإسلامي العلمي، ١٩٩٨م.

النمر، عبد المنعم.، **تاريخ الإسلام في الهند**، القاهرة: دار العند الجديد، ١٩٥٩م.

فروخ، د. عمر، **تاريخ الأدب العربي**، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

القاسمي، عبد الغفور عبد الله، **المسلمون في كيرالا**، مالابرام: مركز أكمل للكتب، ٢٠٠٠م.

القيرواني، أبو علي الحسن ابن رشيق.، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، مصر: المكتبة التجارية، ١٩٦٣م.

محي الدين، ويران كي. وي.، **الشعر العربي في كيرالا مبدأه وتطوره**، كاليكوت: عربنت، ٢٠٠٣م

المعبري، زين الدين أحمد، **تحفة المجاهدين في أحوال البرتغالين**، بيروت: مؤسسات الوفاء، ١٩٨٥م.

معلوف، لويس، **المنجد في الإعلام**، الطبع التاسع، بيروت: دار الشروق، ١٩٧٦م.

الندوي، أبوالحسن على الحسني، **المسلمون في الهند**، لكناؤ:المجمع الإسلامي العلمي، ١٩٩٨م.

النمر، عبد المنعم.، **تاريخ الإسلام في الهند**، القاهرة: دار العند الجديد، ١٩٥٩م.

الكتب الإنجليزية

Kunju, Ibrahim, A. B., *Mappila Muslims of Malabar - Their History and Culture*, Kaniyapuram: Vakkam Moulavi Foundation, Tthiruvananthapuram: Sandhya Publication, 1989.

Koya, Mohammed, S. M., *Mappilas of Malabar - Studies in Social and Cultural History*, Calicut: I.P.T Press, 1983.

Pikthal, Marmaduke, Muhammed., *Lectures on Islam*, Madras: 1927.

Bouchon, Genevienve., *Cannanore's Response to Portuguese Expansion(1507-1528)*, Madras: Oxford, 1988.

Mathew, K.S., *Portuguese Trade with India in the 16th Century*, New Delhi: Manohar Publications, 1983.

Muhammed, Shan., *The Indian Muslims, A Documentary Record*, Merrut: Meenakshi Prakashan, 1983.

Shah, Syed Mohideen., *Islam in Kerala*, Ed: K. Hasan., Trichur: The Muslim Education Association, 1975.

Miller, E. Roland., *Mappila Muslims of Kerala - A Study in Islamic Trends*, Madras: Orient Longman, 1976.

Hussain, Abid, S., *The Destiny of Indian Muslim*, Bombay: Asia Publishing House, 1965.

Barbosa, Duarate., *The Book of Duarte Barbosa*, Trans: M.V. Dames., London: Hakulyt Society, 1918.

Caldwell, Robert, A., *A Comparative GArammar f the Dravidian or South Indian Family of Languages*, London: Trubner and Co., 1875.

Ali, Hamid., *'The Moplahs' Malabar and its Folk*, Ed:T;K., Gopal Panikkar, Madras: G.A. Natesan and Co., 1929.

Krishna Ayyer. K. V., *The Zamorins of Calicut*, Calicut: Norman Printing Bureau, 1938.

Mayer, Adrian C., *Land and Society in Malabar*, Oxford: University Press, 1952.

Nambiar, O.K., *The Kunjalis - Admirals of Calicut*, Bombay: Asia Publishing House, 1963.

Ponnan, T.I., *A Survey of the Rise of the Dutch Power in Malabar (1603-1675)*, Tiruchirapalli: St; Joseph's Industrial School Press, 1948.

الكتب الماليالمية

Abdul Kareem, Muhammed, K.K., *Sayyid Sanaulla Makthi Thangal*, Tirur: 1981.

Abu, O., *Arabee Malayala Sahithya Charithram*, Kottayam: Sahithya Co- operative Society Ltd, 1970.

Ahammedkannu, M., *Kerala Muslim Directory*, Kochi: 1960.

Bahaudheen, K.M., *Kerala Muslimkal Poratathinte Charithram*, Kozhikode: Islamic Publishing House, 1995.

Buchanan, Francis, Trans: Karim, C.K., *Francis Buchanate Karalam*, Thiruvanathapuram: State Institute of Language., Kerala, 1981.

Gangadharan, M., *Mappila Padanangal*, Calicut: Vachanam Books, 2004.

Gudert, Herman., *Keralapazhama*, Calicut: The Mathrubhumi Printing & Publishing Company Ltd, 1996.

Karassery, M. N., *Kurimanam*, Malappuram: Author, 2004.

Kareem, Abdul, Muhammed, K.K.N., C.N.Ahammed Moulavi, *Mahathaya Mappila Sahithya Paramparyam*, Calicut: The Authors, 1978.

Karuvarakundu, O.M., Ed, *Mappila Kalakal*, Manjeri: Vikas Book Stall, 1995.

Khader, Abdul, P.K., *Mahakavi Chettuvay Parreekutty*, Kozhikode: 1980.

Kunji, Muhammed, P.K., *Muslimkalum Kerala Samskaravum*, Thrissur: Kerala Sahithya Academy, 1982.

Kunji, Muhammed, P.K., *Muslimkalum Kerala Samskaravum*, Trichur: Kerala Sahithya Academy, 1982.

Kurupu, K.K.N., *Arakal Rajavamsam*, Calicut: Poomakavanam Publications (P) Ltd, 1995.

Kurupu, K.K.N., *Mappila Paramparyam*, Calicut: Irshad Publications, 1998.

Kutty, Moosan Moulavi, K., *Tuhfathul Mujahideen Paribhasha*, Thanoor: Thahira Press, 1971.

Logan, William, Trans: Krishna, T.V., *Lagante Malabar Manual*, Calicut: The Mathrubhumi Printing & Publishing Company Ltd, 2000.

Makhdoom, Sheikh Zainudheen, Trans: Hamsa, C., *Tuhfatul Mujahideen Paribhashayum Vishadeekaranavum*, Calicut: Al- Huda Book Stall, 1995.

Muhammadali Musliyar, A.P., *Malayalathile Maharathanmar*, Calicut: Irshad Book Stall, 1997.

Muhammed, Saidu, P.A., *Kerala Muslim Charithram*, Kozhikkode:Al-Huda Book Stall, 1951.

Nair, Gopalan, C., *Malayalathile Mappilamar*, Mangalore: The Basel Mission Press, 1917

Panikkassery, Velayudhan., *Sancharikal Kanda Keralam*, Trissur: 2001.

Parameshwarayar, Uloor, S., *KeralaSahithyaCharithram, Vol.1*, Thiruvananthapuram: 1970.

Vallikkunnu, Balakrishanan., *Mappilappatt Oramukha Padanam*, Calicut: Poomakavanam Publications, 1999.

الصحف والجرائد الملیالمیة

Abdul Kareem, Muhammed, K.K., "Arabee Malayala Sahithyam", Ed: Hassan, Siddique, K.A., *Prabhodhanam Special Edition*, Kozhikode: Islamic Service Trust Kerala, 1998.

Abdul Kareem, Muhammed, K.K., "Arabee Malayala Sahithyam", Ed: Muhammed, V., *Roulathul Uloom Souvenir Golden Jubilee Celebrations*, Calicut: K.T.C Offset Printers, 1993-1994.

Kareem, C.K., "Keralathile Muslimkal", *Yuvasarani, Indian Muslimkal Suppliment*, Kozhikode: October -1992.

Koya, Muhammed, P.A., "Arabi: Bhashakalude Mathavu", *Souvenir, Muslim League State Conference*, Calicut: 1984.

Kunjanpilla, Sooranattu., "Mappilappattukal", *Republic Edition*, Kozhikode: Chandrika Magazine, 1970.

Kuttassery, Muhammed, P., "Aadhunika Arabi Sahithyavum Malayalathile Asprisyathayum", *Republic Edition*, Kozhikode: Chandrika Magazine, 1972.

Kuttassery, Muhammed, P., "Arabi Bhashayude Valarchayum Muslim leagum", *Souvenir, Muslim League State Conference*, Calicut: 1984.

Kutty, Ahammad, E.K., Swathanthrya Samara Prasthanangalil Keralathile Muslim Matha Pandithanmarude Sambhavanakal", *Shabab, Seminar Edition*, Feroke: 1997.

Abdul Kareem, Muhammed, K.K., "Navodhana Pravarthanangal Aikaya Sangathinu Mumpu", *Shabab, Seminar Edition*, Feroke: 1997.

Ahmmad Moulavi, N.K., "Aikaya Sangavum Kerala Muslimkalum", *Shabab, Seminar Edition*, Feroke: 1997.

Kutty, V. M., "Mappilamar Mappilappattukal", Ed: A. Muahammadali., *Madhyamam Souvenir*, Calicut: Roshni Press, 2003.

Kutty, V.M., "Mappilappattukalile Silpasamvidhanavum Vaidyar Krithikalum",*Mahakavi Moyin Kutty Vaidyar Anusmarana Prabhanthangal*, Malappuram:Yuva Kalasahithi Publication, 1990.

Mayyil, Hamza., Sayyid, Hashim, Mattool., "Uthara Malabarinte Charithra Radhyakal", Souvenir *of Conference, Jamia Sa'adiyya Islamiyya*, Thalassery: 2001.

Muhammed, Hafis, N.P., "Mappila Kalakalum Vinodangalum", Ed: Muhammed, V., *Roulathul Uloom Souvenir Golden Jubilee Celebrations*, Calicut: K.T.C Offset Printers, 1993-1994.

Mundupara, Musthafa., " Samasthayum Muslim Navodhanavum", *Sathyadhara Fortnightly*, Calicut: May- 2002.

Narayanan, M.G.S., "Indian Samskarathinu Muslimkalude Sambhavanakal", *Shabab, Seminar Edition*, Feroke: 1997.

Rahman, Abdu, P.M., "Influence of Arabic on Malayalam Vocabulary and Grammar", Ed: Kutty, Ahmad, E. K., *Arabic in South India*, Calicut: Department of Arabic, University of Calicut, 2003.

Rahman, Abdur, P.M., "Contribution of Arabic to Malayalam Vocabulary and Grammar", *Thesis*, 492-781ABD/C, T.H.NB.20, Calicat: University of Calicut.

Thurston, Edgar., "The Account of rivalry between the Ponnani sect and the Kondotty Sect, *Castes and Tribes of South India*, Vol.4, Delhi: Cosmo Publications, 1986.

Kuttassery, Muhammed, P., "Malayalam Arabee Bhashabandavam: Vijhana Sahithya Sambhavanakal", *Souvenir, M.S.M. State Conference*, Thrissure:1996.

Muhammed Moulavi, Karuvally., " Dars, Madrasa, Arabic College", *Souvenir, M.S.M. State Conference*, Thrissure: 1996.

Kutty, Savan, T.M., "Muslim Navodhanathinte Pravarthanangal Dhakshina Keralathil", *Souvenir, M.S.M. State Conference*, Thrissure: 1996.

Koya, Muhammed, C.H., "Othu Purayile Ormakal", *C.H. Souvenir*, Calicut: 1984.

Ponnani, T.K., Samskarika Navodhanathile Ponnani", Chandrika Weekly, Ramzan Special, Calicut: 1998.

Muhammed, Khan Bahadur, K., Mappilamar Engottu, Trichur: Mangalodayam (P) Ltd, 1956.

Nair, Diwan Bahadur, C. Gopalan., Malayalthil Mappilamar, Mangalaore: Basel Mission Press, 1917.

Jawaharlal Nehru University Library

Impact of Arabic Language on Malayalam:
A Case Study of 'Arabic - Malayalam' of Malabar

Dissertation Submitted to Jawaharlal Nehru University
in partial fulfillment of requirements for
the award of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

By
HAMEED. A. M.

Supervisor
Dr. Rizwanur Rahman

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi - 67
2005